قصص القرآن

للأطفال

إعداد

طاهر سعيد

الحرية
للنشر والتوزيع
٣ ميدان عرابى وسط البلد - القاهرة
ت / ٢٦١٥٦٤٦ - ٥٧٤٥٦٧٩ - ٠١٢٢٣٨٧٧٩٢١

اسم الكتاب: قصص القرآن - للأطفال
المؤلف: طاهر سعيد
الناشر: الحرية للنشر والتوزيع
ت ٢٢٠٥٥٠٠ / ٢٩٣٦٧١٨
م / ٠١٢/٣٨٧٧٩٢١
رقم الإيداع: 2007/8825
الرقم الدولي: 977-3228-39-5
الكمبيوتر: مركز 4H م/ حسين الحماقى
م/ ٠١٠/٦٦٧٤٣٣٥



المقدمـــة

الحمدلله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

الحمد لله العلى القدير نعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.

نشهد أن لا إله إلا الله الواحد الاحد لاشريك له ولا يشرك فى حكمه أحد.

ونصلى ونسلم على محمد الهادى البشير المبعوث رحمه للعالمين صلوات الله وسلامه عليه فلقد ادى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمه وازاح الغمه وتركنا على المحجه البيضاء.

اما بعد

يسعدنا أن نقدم القصص القرآنى فى صورة جديدة ومبسطة لاشبال وزهرات الإسلام راجينا أن نكون قد اضفنا ولو حرفا ينير الطريق لهم والله المستعان وإليه ترجع الأمور.



الشيطان العدو

ضاعت احلام الشيطان حينما أعتلا آدم وزوجته حواء مكانة عالية عند ربهما وعند الملائكة لذا راح يفكر كيف يجعل هذا المخلوق الطينى عاص وبعيد عن ربه ولقد جاءت الفرصة السانحة له حينما أمر الله عز وجل آدم وحواء أن يعيشا فى رحاب الجنة ويتنقلان فى حدائقها وبين أشجارها العظيمة يرعاهما رضوانه ورحمته الواسعة ولقد كان ذلك إختبارا من الله عز وجل حينما جعلهما يأكلان من جميع الأشجار إلا تلك الشجرة.

وفرح الشيطان وذهب إليهما يتصنع الصدق والبراءة والتودد ثم قال لهما إن تلك الشجرة لهى شجرة الخلد ومن يأكل منها سيصبح خالداً ويعيش، لن يفنى أو يموت؟

ولم يقتنعا أدم وحواء بكلمات الشيطان بل تذكرا كلمات الله لهما وذهبا سريعا بعيدا عنه ولكن الشيطان أصر أن يجعلهما عاصيان فراح يعيد ويعيد لهما ماقاله عن تلك الشجرة حتى أكلا منها ووقعا فى الفتنة وظهرت لهما سوءاتهما وراحا يضمان بعض الأوراق من الجنة لكى يسترا بها العورة وعندئذ شعر كلا منهما بالذنب.

جزاء عدم طاعة الله

انكشف آدم وحواء وبدت لهما السوءة وكل ما يسوؤهما واضحا وجليا لحظتها، تجلي الرحمن وقال لهما فى شئ من العتاب. ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ (١) وفاضت

(١) سورة الأعراف الآية: ٢٢

عـينى آدم وحـواء بالدمـوع والندم ونظر كـلا منهـمـا إلى أسـفل اقدامهما وذلك من كثرة الخجل والحسرة وراحا يتشفعان إلى الله فى ورع وطاعة كبيرة وذلك من خشية العقاب العظيم.

ولكن كما عود الخالق خلقه علي الرحمة فهو كثير الرحمة وواسع المغفرة لذا تاب عليهما ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ (١)

وبعد ذلك أمر الله آدم وحواء بالهبوط من جنة المأوى إلى الأرض والخروج من الجنة لتكون الأرض لهما المعيشة والممات والمستقر إلى يوم البعث والحساب ولقد حذر الله سبحانه وتعالى آدم وحواء من عداوة الشيطان لهما فهو لن يتركهما يعيشان فى سلام وأمان لذا ستكون الملائكة قريبه منهما وستكون رحمة الله، قريبة لمن تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فمن اتبع هدى الله ورضوانه فلا خوف عليه وليس عليه من الذنب شئ.

بهذه الرحمة الكبيرة من الله هبط آدم وحواء إلى الأرض وبدأت معركة، الحياة وبدأ الصراع بين الحياة والموت وبين الإنسان والشيطان العاصى.

أول طفلين فى الأرض

تعلم آدم من ربه كيف يعيش فى تلك الأرض وكيف يعامل زوجته حواء معاملة حسنة ومرت أيام وشهور وحملت حواء حملها الأول وفرح آدم بهذا الحمل وبعد تسعة أشهر وضعت حواء طفلين ذكراً وأنثى، وزادت سعادة آدم وسر سروراً كبيراً.

وكانت البنت الصغيرة تشبه أمها حواء فى جميع الصفات

(١) سورة البقرة الآية: ٣٧

فهى بنفس الملامح وقسمات الوجه الجميل، وراحت الأم تعطف عليهما وترعاهما بالحنان والحب، وراح آدم يعمل ويجد فى عمله حتى يوفر لهذه الأسرة العيش الكريم والحياة المستقرة الهادئة ومرت أيام وشهور والأسرة تعيش فى هناء وسرور وزادت الفرحة اكثر واكثر حينما رزق الله حواء بمولدين أيضا وكانا أيضا، ذكرا وأنثى وبدأ عدد الأسرة يكبر لذا راح آدم يسعى فى حماية تلك الأسرة، وتدبير شئون المعيشة وكانت حواء تساعده أينما ذهب فهو شريكها وزوجها وصانع الحياة الأولى فى الأرض.

أول أسرة فى الأرض

لقد سمى آدم ولده الكبير «قابيل» وسمى الولد الصغير «هابيل» وراح يرعاهما ويعلمهما كيف يعيشان وسط الأسود والنمور والضوارى من الحيوانات المفترسة، وكان الصبيان عونا لآدم فى كل شئ.

ومرت السنين وكبر الطفلان واصبحا شبابا وايضا الفتاتان قد كبرتا، وظهرت عليهن ملامح الأنوثه لذا كان هابيل وقابيل يتصارعان فى إرضائهما وفى نفس الوقت كانا الشبان يحاولان إرضاء آدم وحواء ويكدحان معهما من أجل تأمين الحياة لهذه الأسرة الصغيرة والخليلة الأولى فى الأرض.

وكان الحب يرفرف والتعاطف يملأ الأسرة ويحثهم على العمل والحب والتعاون فى كل شئ فحينما تبدأ ساعة الغداء الكل يذهب مع حواء ويحضرون معها الطعام وأيضا فى وقت العمل كانت الأسره تساعد بعضها البعض لذا مرت الأيام جميلة ورائعة وسلام

على تلك الأسرة وذلك بفضل رعاية حواء للفتاتين وللشابين والعدل بينهم فهى لم تفرق بين الكبير والصغير ومن يخطئ فعليه تحمل الخطأ هكذا كانت حواء تعامل أبنائها وكان آدم يساعدها ويحكم بالعدل والإنصاف ويعاقب البنت أو الولد اذا لزم الأمر ذلك، وبهذا نشأ الشبان والفتاتان على طاعة وحب الوالدين وعدم العصيان لأوامر الأم والأب.

بداية العمل

لقد أحس أدم بقوة ابنه قابيل لذا راح يعلمه مهنة الزراعة فهو يحب هذا ويهوى التعامل مع الأرض والفلاحه وعنده من الصبر الكثير والكثير مما يجعله ينتظر الفصل والفصل الآخر ثم يبدأ فى جنى الثمرات والخيرات مما يسد حاجات الأسرة من الطعام وأسباب الحياة الكريمة.

وأما هابيل فلقد سلك طريقا آخر فهو يحب الأغنام والحيوانات لذا طلب من أبيه آدم أن يجعله يربى الماشية يحلب الألبان منها ويصنع من أصوافها، الملابس لجميع الأسرة مما يجعل الأسرة آمنة ومستقرة من جانب الغذاء حيث أن فى الماشية والماعز الكثير من الغذاء الذى يساعد الإنسان على الإستمرار فى الحياة وأيضا فى بناء جسده بناء قوياً.

هكذا انقسم العمل بين أفراد الأسرة وذهب كل واحد إلى العمل الذى يحبه

الشيطان الحاقد

لقد نزل الشيطان مع آدم وحواء إلى الأرض وكان يحقد عليهما وينتظر الفرصة لكى ينتقم منهما ولقد جاءته الفرصة حينما أستشعر أن قابيل. يحب الفتاة البكر التى ولدت معه ولكنها كانت تحب وتعشق أخيه هابيل وكان هو يحبها، ويبادلها نفس الإحساس وحاول قابيل أن يجعلها تحبه ويكثر لها من الهدايا والعطف والود ولكن إرادة الله جعلت قلبها وعقلها مع هابيل فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيفما يشاء.

وبدأ الشيطان يذرع الحقد والكراهية فى قلب قابيل مثلما أغوى آدم وجعله يعصى الله وينزل إلى الأرض ويترك نعيم الجنة ويبدأ الشقاء فى الأرض هكذا وسوس أبليس اللعين فى عقل وقلب قابيل كى لايجعله يعيش وينعم فى طاعة وحب الله ويبتعد عن الإستقامة والطاعة لله.

فهذا الشيطان لم ينس ولن ينسى يوم أن أمر الله الملائكة بالسجود، لآدم فسجدوا إلا هو لذا أصبح طريداً وملعونا من الله عز وجل حتى تأتى القيامة ويحكم الله ويفصل بين الظالم والمظلوم والعاصى والمستغفر وأصبح قابيل جاهزاً للعصيان وللقتل. ولقتل مَنْ قتل أخيه هابيل إنه من عمل الشيطان الذى لايحب الخير للإنسان بل يتمنى أن يفنى.

حب الله

استشعر آدم أن الفتنة أصبحت واضحة بين الأخوة لهذا قرر أن يحسم تلك القضية ويترك الحكم لله تعالى لذا أمر كلا منهما

بأن يقدم قربان إلى الخالق فلو تقبل الله القربان من أحدهما فعليه أن يتزوج الفتاة البكر وعلى الآخر الطاعة وتنفيذ أمر الله عز وجل.

وبدأ الأخوان يتصارعان فى التقرب إلى الله حيث بدأ قابيل يجمع بعض الثمرات والنباتات ثم وضعها أمام باب الكهف الذى يعيش فيه ولم يجمع إلا القليل من الأغصان غير الصالحة وأما هابيل فلقد كان يعمل فى مجال تربية الماشية، وحلب الألبان لذا أختار من مواشيه أقواها وأحسنها وذبحها وترك لحمها إلى النسور والأسود والطير يأكل منها.

وفى الصباح ظهرت الحقيقة واضحة فلقد قبل الله قربان هابيل ولم يبق من الشاة التى ذبحها شيئا وأما قابيل فلقد ظلت النباتات كما هى ولم يتقبل الله منه قربانه.

إصرار الشيطان فى زرع الخصام

زاد الكره والحقد فى قلب قابيل بعدما قبل الله قربان آخيه هابيل ولم يتقبل قربانه وراح الشيطان اللعين يذكر قابيل ببعض العلاقات والكلمات غير المقصودة التى كانت تتم بين أفراد الأسرة وبدأ الشيطان يصور له أن جميع الأسرة لاتحبه بل تكرهه كرهاً كبيراً فأضمر الشر فى قلبه ونوى القتل، والغدر بعدما رسم له ابليس اللعين خطوط الجريمة وأن عليه أن يقتل أخيه هابيل فهو العطوف المحبب إلى قلب آدم وحواء وحتى إلى الفتاة التى كان يحلم بالزواج منها هكذا استحوذ الشيطان على قلبه وصور له سوء عمله على أنه الخير والصواب لكى يحقق الأحلام والأمانى ولن تحقق إلا بالقتل والتخلص من أخيه هابيل حتى يفوز بكل شىء.

بداية الجريمه

تملك الشيطان من قابيل وأصبح يتكلم بأسمه ويفكر له بل أصبح قابيل هو الشيطان ذاته فلقد راح يهدد أخيه هابيل بأن عليه أن يترك له الفتاه، البكر وإلا قتله وقضى عليه حيث قال له: أنك العقبة الوحيدة التى تعترض طريقى وتنغص علىّ سعادتى وتمنعنى من العيش مع التى أحبها لذا عليك بالإبتعاد عن طريقى فلقد قبل الله منك القربان ولم يتقبله منى؟

فقال هابيل له: بصوت فيه من الرفق والحب لقد قبل الله القربان منى فهو يتقبل من المتقين لحظتها زادت ثورة وغيظ قابيل وقال لأخيه: سأقتلك فقال هابيل: والله لأن أردت قتلى ومددت يدك إلى فلن أبسط يدى لأقتلك حتى تتحمل أنت الذنب كله فأنا أخاف الله رب العالمين.

ولكن قابيل لم يسمع صوت أخيه ولم يفهم التحذير بل سارع فى تنفيذ الجريمة.

القتل والندم

أحمرت عينا قابيل من الغيظ والكره ولبى نداء الشيطان الذى تحكم فى قلبه وعقله فجعله لايسمع ولايرى إلا صوته اللعين.

وبدأت نوازع الغيرة تحرك أحاسيسه وجوانح قابيل لكى يقتل أخيه وبالفعل راح قابيل يراقب أخيه حتى يتمكن منه فيقتله وهاهى الفرصه جاءت لقابيل حينما رأى أخيه وهو نائم فذهب إليه مسرعاً وراح يضربه بقوة وقسوة كبيرة حتى تركه جثة. هامدة تغمرها

الدماء وبعدما فعل جريمته ذهب بعيداً يترقب سوء عمله لحظتها هدأت نفسه وبدأت عاطفة الأخوة تظهر فى قلبه من جديد ولكن بعدما فات الآوان فهل ينفع الندم كلا لن ينفع لذا وقع قابيل فى بركة الحسرة والألم والحزن على قتل أحب الناس إليه على قتل أخيه وظل هكذا ساعات وساعات بين البكاء والحيرة، والأسف والندم على ما قدمت يداه وفعلت.

الغراب يعلم الإنسان

بدأت علامات الأسى واللوم تظهر فى نفس قابيل وفقد الكثير من الجبروت والقوة وأصبح وديما ضعيفاً لايملك إلا البكاء والألم وتسلل الندم إلى قلبه وزادت الهموم بأحمالها على كتفيه لذا لم تعد قدماه قادرة على حمله لذا جلس على إحدى الصخور وهو شارد البال ينظر إلى يداه ثم ينظر إلى جثة أخيه الهامدة المدرَّجة بالدم.

وبينما هو هكذا إذا بغراب يقتل غراباً آخر ثم طار على الأرض وراح، يحفر فيها ويدفن الغراب المقتول فى الحفرة ثم طار على الأشجار ثانية.

إنها حكمة من الله عز وجل لكى يتعلم قابيل من هذا الغراب كيف يوارى جثة أخيه المقتول هابيل.

لقد شاهد قابيل ذلك المنظر وزادت الحسرة وزاد فى قلبه الندم ولكنه راح يقلد مافعله الغراب وقام على الفور ليدفن جثة أخيه وبعدما قام بالدفن، ذهب إلى كهفه وهو مثقل الخطوات مطأطئ الرأس ويذرف دمع، الندم ولكن كيف له أن يندم أو حتى

يتوب ويتطهر وهو الذى استن فى الأرض سنة القتل وفجر نهر الدم والعداء الأول من إطاعته الشيطان من أجل الشهوة الفانية لهذا لن يستطيع فعل شئ غير البكاء والحسره ولاشك أن الذى فعله قابيل لهو حكمة من المولى عز وجل ولها أكثر من مفهوم ومعنى لايعلم مغزها ومدلولها إلا الله القهار الكريم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (١)

قال تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ (٢)

قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ (٣)

قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ﴾ (٤)

قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (٥)

---

(١) سورة البقرة الآية: ٣٠
(٢) سورة الأعراف الآية: ٢٢
(٣) سورة البقرة الآية: ٣٧
(٤) سورة طه الآية: ١٢٣
(٥) سورة المائده الآية: ٢٧ ـ ٣١

موسى وسيدنا الخضر

موسى محرر اليهود

لقد عاش أبناء يعقوب أخوة يوسف نبى الله ﷺ فى مصر سنوات كثيرة فى الذل والقهر والاستعباد وذلك لكثرة تآمرهم وغدرهم بالمصريين وبالحكام الفراعنه لذا كان الحكام يعاملونهم أسوء معاملة وذلك عن طريق ذبح الأنبياء وسبى النساء وقتل الرجال.

وظل الحال على نفس المنوال حتى بعث الله سيدنا موسى إليهم لكى يفك قيد أسرهم ويحررهم ويعلمهم معنى التوحيد الحقيقى ومعنى الكرامة الحقيقية فلقد ألفوا وأحبوا حياة الذل والهوان حتى ظهر البيان من الله على يد كليمه موسى ﷺ.

وبدأت مرحلة التحدى بين الحق والباطل وأظهر الله الحق على لسان نبيه موسى وأخيه هارون واغرق آل فرعون وجنوده المشركين وخرج سيدنا موسى ومعه اليهود من مصر آمنين بعدما شاهدوا بأعينهم موت فرعون وملأه وراح النبى موسى يحكم بينهم بالعدل والإحسان ويعلمهم الخير والإيمان.

أنا أعلم الناس

استقر اليهود على حدود مصر الشرقيه ومعهم موسى وأخيه هارون وظل موسى بينهم يحكم بما انزل الله من عدل وتقوى وغفران وراح يحضهم على طريق الإيمان الحق وعلى طاعة الله عز وجل والدعوة إلى محبة الله المحبة الخالصة والتمسك بشرعه.

ولقد كان النبى موسى يتمتع بقوة عقل كبيرة وعظيمة ولسان

ناطق، بالخير وبالوعظ الصادق حتى أصبح عند اليهود المثل الأعلى فى حلاوة اللسان وحسن البيان ونال منهم كل الحب والتقدير وامتلك مشاعرهم قبل عقولهم فراحوا يستمعونه بكل تركيز وانصات وهم فى شدة التعجب، من أمره ولسانه الكريم الذى لايتكلم إلا بالصدق ومحبة الإيمان.

وفى يوم سُئل موسى من بعض اليهود عن أعلم الناس فى الأرض؟

فقال لهم بغير تفكير: أنا أعلم الناس ولقد نال بهذا الجواب العتاب من الله عز وجل لأنه لم يقل الله ولم يقدم أسم الله.

لذا أوحى الله إليه أن يذهب ويتعلم ممن هو أعلم منه وهو عند مجمع البحرين.

موسى وتلميذه

ذهب موسى بعدما عرف أن الله هو العليم الخبير وأن الناس درجات فى العلم ومراتب فى الإيمان.

وراح موسى ومعه فتاه وهو يوشع بن نون. وذهبا لكى يقابلا العبد الصالح وذلك فى الاتجاه الغربى الجنوبى من مدينة سيناء وكانت فى ذلك الوقت كثيرة الطرق الوعرة وبها الكثير من الهضبات الرملية لذا نال موسى وفتاه من التعب الكثير حتى أصبح الجهد والعرق واضحا على جسده ووجه سيدنا موسى لذا قال لفتاه: لن أتحرك ولن يهدأ لى بال حتى أصل إلى مكان مجمع البحرين لكى نقابل العبد الصالح ونحقق الهدف المرجو حتى لو كلفنا هذا شهورا وسنينا المهم أن نصل ونقابل ذلك الرجل الصالح فلعل يكون فى هذا إلتزاماً بأمر الله وتكفير عن الذنب الذى فعلته؟

الميعاد عند الصخرة

مرت أيام وأيام حتى وصل موسى وتلميذه شاطئ البحر وبدأت رائحة اليود ونسمات البحر تهفهف على وجه موسى وفتاه وبعد ساعات وصل موسى عند مجمع البحرين ثم طلب من تلميذه أن يستريحا بعضا من الوقت وما أن جلس موسى حتى راح فى نوم عميق وذلك من شدة التعب بينما كان تلميذه يوشع بن نون فى حالة من النشاط لذا راح يمشى شمالاً ويمينا وينظر إلى موج البحر والسماء الصافية الجميلة وفجأة وهو فى هذا الحال خرج الحوت المملح المعد لطعامهم من المكان الموضوع فيه وأتخذ سبيله فى البحر سربا وراح يقترب من الموج حتى دخل فيه فعادت إليه الحيوية ورجع إليه النشاط فدخل سريعا فى قاع البحر بينما ظل يوشع بن نون فى حالة من الدهشة والتعجب ولم يستطع أن يمسك ذلك الحوت.

النسيان

مرت ساعات بعدها أفاق موسى عليه السلام من نومه وعلى الفور أمر تلميذه يوشع بن نون أن يواصل السير معه فسار يوشع معه وكان لايزال فى حيرة من أمر الحوت ولكنه قد نسى ماحدث ولم يخبر سيدنا موسى بشئ مما حدث وظل الأمر هكذا حتى وصلا إلى نصف الطريق وقد نال الجهد من سيدنا موسى الذى طلب منه أن يحضر له الغداء بعد هذا السفر، الطويل؟

لحظتها تذكر يوشع بن نون أمر الحوت وراحت عنه غشاوة الشيطان، لذا قال لسيدنا موسى: لقد حدثت معجزة عند الصخرة وحكى له ماحدث وأن الشيطان هو الذى جعله ينسى وجعل لسانه

لاينطق ويخبره بما قد حدث وبذلك لايقابل موسى العبد الصالح هكذا كان يتمنى ابليس اللعين ولكن إرادة الله جعلت يوشع بن نون يتذكر ويخبر نبى الله بمعجزة الحوت.

العودة للبداية

ابتسم سيدنا موسى لتلميذه ولم يعاقبه بل قال له: لعل الله أن يغفر لك يا أخى فإن معجزة الحوت كانت علامة من علامات البشارة لمقابلة العبد الصالح، فهيا بنا يا أخى نعود إلى مكان الصخرة من جديد فإن ذلك مقصدنا؟

وبالفعل ذهب يوشع مع موسى ولم يشربا أو حتى يأكلا الطعام وذلك من أجل تنفيذ أمر الله ومحبة فى طاعته وعادا إلى الوراء فى إتجاه الصخرة، وراحا يمشيان فى جد وحماس شديدين ولايعنيان بحرارة الجو وبالشمس التى كانت تملأ السماء نورها وبحرارتها الشديده.

وكان من ذكاء موسى عليه السلام أنه كان يمشى على آثار أقدامهما، التى قد مشيا فيها من قبل وذلك حتى لايضلان الطريق وبذلك يفقد ما كان يتمناه من رؤيا العبد الصالح.

اللقاء المرتقب

مرت الساعات سنين على نبى الله موسى وذلك من كثرة شوقه لمقابلة العبد الصالح، وبعد عناء وصلا إلى مكان الصخرة وعندها وجدا رجل ذو شخصية عظيمة مهيب المنظر وتظهر على وجهه علامات التقوى والصلاح وفى بريق عينيه الإيمان واضحا وجليا.

وعلى الفور تعرف كل منهما على الآخر فقال سيدنا الخضر أو العبد الصالح: أنا رجل بسيط من عباد الله قد زرع الله فى قلبى الرحمه والتقوى واتانى من عنده علما به أساعد الناس فى الحياة وعلى الخير أسير.

ففرح سيدنا موسى به وسر سروراً عظيماً وراح يطلب منه أن يرافقه لكى يتعلم منه ماينقصه من المعرفة الحقيقيه؟

فقال له الخضر: ياأخى إن الذى يصاحبنى عليه بالصبر الكبير وأنت لا تستطيع الصبر وهذا فوق قدرتك، فهل بمقدورك أن تصبر على أشياء تحدث أمامك وتتطلب المعرفة والتجربة الطويلة وهذه الأشياء تنقصك فأنت لم تمارسها على الإطلاق، ولتعلم ياأخى أنك سترى أشياء وأحداثا وموازين للمعرفه لاتستطيع عقول البشر أن تفهمها أو حتى تفكر فى حل طلاسمها فهم لايعرفون من الأشياء إلا الظواهر منها، فقط ولايحاولون الدخول إلى بطون الأشياء ومعرفة أسرارها ولايدركون الحكمة الخفية والعلم الحقيقى فجميع الناس يعيشون فى حالة من التعجل وعدم الصبر فكيف تصبر أنت وكيف لك أن تتطلب مصاحبتى والسير معى؟

السكوت هو شرط الصحبه

ظل سيدنا موسى يستمع لكلمات العبد الصالح وفجاه قال له: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾.

وبذلك أصبح صبر موسى على معرفة العلم مرتبطا بأمر ومشيئة الخالق عز وجل وليكن مايكن من العناء والمشقة. ووافق سيدنا الخضر على ان يصاحبه موسى فى رحلته فى طلب العلم

اللّدنى وذلك عندما لمح فى كلمات سيدنا موسى الصدق والإخلاص فى طلب العلم؟

ثم قال له بأسلوب فيه من الحب والعطف: يا أخى موسى أن شرط مصاحبتى هو الصمت على مايحدث والصبر حتى أحدثك أنا بنفسى لذا عليك أن لا تسأل ولا تستفسر حتى أوضح لك ما لم تستطع فهمه فى ذلك الوقت لذا عليك الصبر والصمت وعدم التساؤل فوافق موسى على الفور.

بداية الرحله النورانيه

ذهب سيدنا موسى مع العبد الصالح ومعهما يوشع بن نون وبينما هم فى الطريق، اذا بسفينة كبيرة تشق موج البحر تقترب من شاطىء البحر فراح سيدنا الخضر يشاور لقائد السفينة وعلى الفور وقفت السفينة ورست على شاطىء البحر ثم قال الخضر لقائد السفينة: يا أخى نريد أن نسافر معك إلى البر الثانى، فهل تسمح لنا؟ فوافق قائد السفينة ورحب بهما، ووضعهما فى أحسن مكان فى السفينة وذلك لانه كان يعرف سيدنا الخضر لذا لم يطلب منهما أى أجر، بعدها أمر قائد السفينة ربانها بالسير، وراحت السفينه تقسم الماء إلى نصفين وبعد ساعات خرج موسى ومعه العبد الصالح إلى مقدمة السفينة فإذا بطائر يشبه العصفور يقترب من الماء يغترف منه ثم يطير إلى سارى السفينة ويقف عليه لحظتها قال سيدنا الخضر لنبى الله موسى: يا أخى أن علم جميع البشر وعلمك وعلمى ماهو إلا مثل نقطة ماء صغيرة جداً فى محيط علم الله الواحد العليم الذى يعلم ماتقدم وما نؤخر ويعلم ماتخفيه الصدور؟

وبذلك أصبح الطريق واضحا وسهلا أمام سيدنا موسى لكى يدخل فى عالم الأشياء الكبيرة والخفية التى سيراها ويحسها بنفسه وهذا عتاب رقيق من العبد الصالح لموسى لأنه قال للناس أنا أعلمهم؟ لذا بدأ العبد الصالح يعلم موسى كيف يكون التواضع مع الناس والاعتراف بقوة علم الله العلى القدير، وأنه على طالب العلم أن يظل بسيطا محبا لله.

السفينه وأول الدروس

استوعب موسى ماقاله العبد الصالح له وفجأة ذهب العبد الصالح بعيدا عن موسى وتوجه إلى مقدمة السفينة وراح ينزع لوحا كبيراً من ألواح السفينة حتى نجح فى نزعه وبدأت تيارات الماء تندفع بقوة فى داخل السفينة مما جعل السفينة فى اتجاه معاكس بفعل الماء الذى ملأ جزءا كبيراً بها فنظر موسى له وهو فى حالة من الإندهاش ثم قال له: لماذا يا أخى تفعل هذا الضرر والأذى وهؤلاء الناس قد أحسنوا إلينا وأكرمونا فى كل شىء حتى أنهم لم يطلبوا منّا أى أجر رغم أنهم قد حملونا؟

فنظر إليه سيدنا الخضر ثم قال له معاتبا: ألم أقل لك من قبل أنك لن تستطيع معى صبرا ولقد حذرتك فأين الوفاء بالعهد الذى كنا قد تعاهدناه مع بعضنا البعض، وفجأه تذكر موسى ذلك العهد وهو أن يظل صامتا على مايراه من أحداث حتى يفسر له العبد الصالح ما رآى ثم قال موسى له: أرجوك يا أخى أن لاترهقنى، فلقد نال منى النسيان وغلب على عقلى وهذا العلم لهو صعب وليست لى، أية قوة أو قدرة عليه فسامحنى على النسيان فتقبل الخضر منه الإعتذار.

قتل الغلام

نزل موسى والخضر ومعهما يوشع بن نون فى اتجاه مدينة ساحلية وعندما إقترب الخضر من البيوت اذا به يرى الأطفال يلعبون ويمرحون وفجأه توجه ناحية طفل منهم فأمسكه وراح يشده بقوة وعنف حتى أن جميع الأطفال فروا هاربين وخائفين وبعدها أمسك الخضر الطفل ولف يديه حول عنقه وراح يضغط بقوة حتى لفظ الطفل انفاسه واصبح جثة هامدة ليس بها أية حياة ثم تركه وطلب من موسى أن يواصل السير معه؟

ولكن سيدنا موسى لم يقدر على هذا أيضا ولم يتحمل أن يرى جريمة قتل وهو نبى الله ويسكت عليها فقال للخضر وهو فى شدة الغضب: لما قتلت هذا الغلام وهو لم يجن أى ذنب؟

فالتفت العبد الصالح إليه ثم قال: لقد أتعبتنى يا أخى بأسئلتك ولقد أخبرتك من ذى قبل أنك لن تستطيع معى صبراً؟ فأصبر وعليك الإحتمال حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً؟!

لحظتها سكت موسى وعرف قصد العبد الصالح ثم قال له: أعدك أننى لن أسألك عن أى شىء بعد هذا ولو سألتك عن حاجة فلا تصاحبنى فلقد تحملت منى الكثير والكثير وبلغت منى العذر الكبير.

إقامة الجدار

مرت ساعات كان خلالها موسى صامتا حتى يفى بعهده مع العبد الصالح وبينما هما سائران فى اتجاه إحدى القرى أحسا بالجوع فراح الخضر يسأل أهل هذه القريه بعض الطعام حتى

يواصلا الرحلة ولكن أهل القرية لم يعطوهما الطعام بل أظهروا لهما الجفاء وعدم الكرم.

ومرا وهما جوعى فى إتجاه أحد الحقول المزروعة وكان بجانبه جدار سقط منه بعضا من أجزائه فراح الخضر يبنيه حتى جعله واقفا كما كان.

فصاح موسى قائلا: كيف تبنى هذا الجدار وأهل القرية عاملونا أسوء معاملة؟

فابتسم العبد الصالح وقال لموسى: لقد حان وقت الفراق ولقد وصلنا إلى نهاية الطريق والمصاحبه فلك طريقك ولى طريقى ولكن سأخبرك بكل شىء الآن.

الدروس المستفاده من الرحلة

ابتسم موسى حينما عرف أنه وصل إلى طريق المعرفة وأن عليه أن يستمع من الخضر مهما حدث فكم هو فى شوق لسماع التفسيرات والأحداث العجيبه؟

نظر الخضر لموسى ثم قال له: لتعلم يا أخى أن السفينة كانت ملكا لمجموعة من الناس الفقراء وكانت هى مصدر الرزق الوحيد لهم لذ أردت أن أعيبها حتى إذا رأها الملك الظالم وهو حاكم البلاد فلا يطمع فيها وبهذا تبقى السفينة ملكا لهم ولا يصادرها هذا الطاغية القاسى

فنظر له موسى ولم يتكلم وراح يستمع لحديث العبد الصالح الذى قال: وأما الطفل الذى قتلته فكان له أبوين صالحين ومؤمنين

ولو عاش هذا الطفل فسوف يرهقهما طغيانا وكفرا وانحرافا وسوء خلق لذا أراد الله ربك أن يرزقهما ولدا يكون خيرا منه فيساعدهما فى العمل ويكون عبدا صالحا طاهر القلب وصاحب طاعة كبيرة لأبويه؟ وتلك رحمة من الله لهما.

وصمت الخضر قليلا ثم قال لموسى: وأما الجدار الذى بنيته فلقد كان ملكاً لطفلين يتيمين من أهل البلدة ولقد كانا لهما كنز تحت ذلك الحائط، وكان أبوهما صالحا لذا أراد الله القدير العلى أن يحافظ على هذا الكنز حتى يكبرا هذان الطفلان ثم يستخرجا هذا الكنز بأيديهما.

ولتعلم يا أخى ياموسى أن الذى فعلته لم يكن بمحض تفكيرى بل هو كان بأمر من الله عز وجل وعلمه وليس لى فيه إلا طاعة الأمر والتنفيذ فقط.

وبعدها ذهب سيدنا الخضر فى طريقه ورجع سيدنا موسى إلى قومه وأهله بعدما استفاد وتعلم أن فوق كل ذى علم عليم.

القصة كما أوردها القرآن

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا

وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ
رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ
تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِى إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِى لَكَ أَمْرًا (٦٩)
قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْأَلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانطَلَقَا
حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِى السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا
(٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ
وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا (٧٣) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ
نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن
تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِى قَدْ
بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا (٧٦) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ
عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ
صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ
فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً
وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ
كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا
رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾
(سورة الكهف الآيات: ٦٠ ـ ٨٢)

أهل الكهف

الإيمان بالله

تبدأ أحداث هذه القصة فى زمن بعيد جداً لايعلم تحديده إلا الله ورغم أن الصراع بين الكفر والإيمان موجود منذ أن خلق الله الإنسان وسيظل حتى يرث الله الأرض وما عليها ولكن فى هذه القصه تمت معجزة كبرى تجلت فيها القدرة الإلهية وصارت واضحة أمام أعين الناس لتعرفهم الحقيقة الصادقة فى الموت وفى الحياه وكيف ان الله قادر على أن يبعث ويحيى مايشاء عظم شأنه.

ففى إحدى البلاد انتشر الإيمان وحب الله وظل هكذا فترة كبيرة من الوقت حتى زاد الشيطان من حملته ضد المؤمنين وراح يلهيهم عن ذكر الله وعن طاعته وراجت افعال وبضاعة إبليس اللعين حتى أن الناس نسوا ذكر الله وراحوا يصنعون بايدهم التماثيل وتفشت عوامل الكفر والضلال وأصبحت الأوثان تعبد من دون الله بفعل غواية الشيطان ووسوسته لهم.

ولم يكن الحاكم مؤمنا بل كان مثل باقى الكفره والجاحدين لطاعه ربهم بل وأعلن نفسه إلها من دون الله وزاد الفساد بين العباد وراح صوت الحق يختفى شيئاً فشيئاً أمام طغيان الناس والشيطان وعدم إيمان الحاكم الراعى للبلاد وللعباد ولكن وسط هذا الكفر برزت مجموعة من الشباب آتاهم الله جرأة الإيمان فراحوا يعبدون الله حق عبادة بفضل تأييده سبحانه.

حب الله

أصبح الطريق واضحا أمام هؤلاء الفتية وهو الصبر على البلوى والدخول فى مواجهة مع الطغيان والكفر وأن عليهم عدم الخوف من سطوة الحاكم أو قسوة الناس الذين كانوا فى ضلال مُبين لذا راح هؤلاء الشبان يدعون الناس إلى عبادة الله الواحد القهار وأعلنوها صريحة ومدوية إنه الله ربنا رب السموات ورب الأرض القادر والعظيم والمقتدر.

وذهبوا إلى الأسواق وبين البيوت والقصور وهم يقولون لا للتماثيل ولا للقرابين أيها الناس إنتم فى ضلال مبين ولن نرضى مثلكم بالظلم ولن نرضى بالفساد فعودوا إلى الله واعبدوه لعلكم تهتدون لماذا تسجدون لغير لله الواحد، لماذا تضعون الأوثان فى منازلكم والملك يساعدكم على هذا الكفر ولا يحاول أن يمنعكم من تكملة طريق الكفر وذلك لانه مثلكم كافر وظالم لا يحب إلا نفسه ويعشق شهوات جسده الفانى وينسى يوم الحساب فعليكم بالإيمان أننا ﴿لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾

بهذا الصوت الغامر بالإيمان ومحبة الخالق تكلم هؤلاء الفتيه وراحوا يتحملون العناد والعذاب من أجل أن يعود الناس إلى رشدهم.

بين الحق والضلال

بدأ بعض الناس يستجيب لنداء الحق ولكن الملك الظالم الكافر وقف هو وباقى حاشيته بالمرصاد لهؤلاء الفتية حتى لا يستمروا فى دعوة الناس إلى الإيمان حيث أصبح خطر هؤلاء كبيرا على الملك ووزرائه الكفرة وبذلك يضعف نفوذهم ويزلزل عرش

الملك ذاته.

وفى غضب شديد وعناد أمر الملك أن يحاصر الجنود هؤلاء الفتيه المؤمنين ويمنعونهم من الاختلاط بالناس وبهذا لاتحقق دعوتهم أى نجاح ويسيطر الملك وأعوانه على الناس وبدأت معركة التحدى بين الحاكم الكافر وحاشيته وبين هؤلاء الشباب القليلى العدد والكثيرى الإيمان بالله الواحد ومضى كل منهما فى طريقه فالناس والملك أحبوا الكفر وفضلوه على الإيمان وأما الفتيه فلقد قرروا البراءة والبعد عن قومهم لأنهم يعبدون غير الله ويفترون على الله بالكذب.

الهروب إلى الكهف

عندما بدأ الليل يدخل على أطراف المدينة كان هؤلاء الفتية قد قرروا اعتزال الناس ثم الرحيل عن تلك المدينة الكافرة لكى يفروا بدينهم.

لذا رحلوا إلى كهف كان فى جبل يبتعد عن مدينتهم وبذلك يأمنوا من بطش الطاغية وكان ذلك بفضل رعايه الله لهم.

وعندما وصلوا إلى الكهف وصل معهم كلبهم الوفى الذى آثر الرحيل معهم على العيش فى المدينة بغيرهم ومرت ساعات بعدها أحس الفتية بالأمان والطمأنينه وتنزلت رحمة الله عليهم وغشيتهم وملأت الكهف من كل جانب وبعد ذلك قرر الفتية النوم بعد رحلة العناء والعذاب وبعد المعارك الكبيرة بينهم وبين حاكم البلاد وحاشيته الظالمه الكافره.

ورغم أن الكهف مكان يسكن فيه الثعابين والسباع والبوم

وجميع الضوارى ورغم الظلام الحالك إلا أنهم قد توكلوا على الله وملأ الإيمان بالله عقولهم قبل قلوبهم لذا لم يعد شئ يخيفهم أو يرهبهم غير الله العزيز القهار.

النوم العميق

دخل النوم سريعا إلى أعين هؤلاء الفتيه وتسلل إليهم جعلهم يستسلمون وناموا نوما عميقاً بعدما أحسوا بالأمان وجاءت شمس اليوم الثانى فالثالث وقام جميع الناس إلى عملهم وراحت الحيوانات تسعى فى الغابات ماعدا أهل الكهف الذين ظلوا فى نومهم.

مرور السنين

لقد كان من رحمة الله عز وجل أن جعل الشمس اذا أشرقت وراحت تنشر شعاعها بين أرجاء الكون كله ولكن حين يقترب ذلك الشعاع من الكهف كان يميل بعيدا عن الكهف ناحية اليمين ثم تعود الشمس معتدله وكانت أيضا اذا غربت تبعث بعض أشعتها وتقرضهم قرضا بسيطاً من ناحية الشمال، ولقد كانت عملية ميل الشمس معجزة من معجزات الله العظيم.

ومرت الأيام ووراءها مرت الشهور فالسنين الكثير وهؤلاء الفتية فى نومهم ورقدتهم فالعيون مفتوحة وشاخصة وأنظارهم ناظرة فى اتجاه واحد ومرت المائة الأولى فالثانية فالثالثة وتغيرت ملامح وجوههم فلقد طالت لحاهم وكبر شعرهم وتغير لون بشرتهم واصفر الوجه قليلا ولو قدر لاى إنسان أن يراهم لفر هارباً من هذا

المنظر العجيب والمخيف.

وكان من رحمة الله أن جعلهم يتقلبون فى منامهم ذات اليمين ومرة ذات الشمال وكان ذلك يتم بحركة ربانية من عند الله لا إرادية من عندهم بغير إحساس منهم.

قاموا من رقدتهم؟!

مر على هؤلاء الفتية ثلاث مائة سنة وتسعة كما حددها القرآن الكريم وتغير حال الناس وزالت معالم وبقيت معالم أخرى وتغير حال الأرض والملوك وفقد بعض الملوك عرشهم وملك آخرون بعض البلاد.

وفي الميعاد المحدد الذي اراده الله رجعت الحياة إلي هؤلاء الشباب ونفخ الله فيهم الروح وقاموا من نومهم الذي ظل مئات السنين فهذا الشاب يتثاقل وذلك يتثاءب والآخر يتمطى ومرت دقائق بعدها قال واحد منهم: ياأخوتى كم بقينا نائمين؟ فرد الآخر عليه: لعلنا لبثنا يوما أو بعض يوم.

وبدأت الدهشه تملأ قلوبهم بعدما تحسسوا لحاهم وشعورهم لذا، قالوا فى صوت واحد: ربكم أعلم كم نمتم من الوقت.

ومرت بعض الدقائق غريبة وثقيلة على هؤلاء الفتية فلقد ظنوا أن فترة كبيرة من الوقت قد مرت ولكنها ليست بالشكل الذى سيعرفونه حينما يذهب أحدهم إلى المدينة ويفاجأ بالحقيقة الواضحة فهم مازلوا يعتبرون أن الزمن بسيط ثلاثة أيام أو أربعة أو أكثر ولكن ظلت الحيرة والدهشة على وجوههم وبدأ القلق

يتسرب إلى قلوبهم فلقد تغير كل شئ ولكن أين الإجابة على تلك الاسئلة إنها الدوامة الكبرى والمعجزة التى ستجعل الناس يرجعون ويعرفون إن وعد الله حق.

اشتهاء الطعام

بعد ساعات من الحيرة والتساؤل أحس كل منهم بالجوع وهو أول شعور، وإحساس جسمانى بالنسبة لهم بعد النوم الكبير ولكن كيف يأتون بالطعام وهناك ينتظر هم الملك الطاغى فلقد هربوا من البلاد ومازال أهلها على كفرهم فهل يذهبون وتبدأ المعركه من جديد؟

وبعد هذه الأسئلة راحوا يسبحون الله ويستغفرونه حتى هداهم الله بأن، يختاروا رجلا منهم لكى يذهب إلى المدينة ويأتى بالطعام.

وبالفعل ذهب الرجل إلى المدينة ومعه بعض النقود التى كانوا يستعملونها وراح هذا الرجل يتخفى من الشرطه ورجال الملك واعوانه ويظل واعيا ومنتبها حتى لايقع فريسة سهلة فى ايدى رجال الملك وظل على حالة وعلى عهده الذى قد عاهدهم عليه وهو أن يحترس حتى لايعرف أى أحد مكانهم وبذلك يتعرضون للفتنه من جديد وذلك إما أن يتركوا عبادة الله الواحد الأحد ويعودوا فى ملة قومهم وإما أن يسجنوا أو يعذبوا لانهم عصوا أوامر الملك.

هكذا كان يفكر ذلك الرجل حينما أتى إلى المدينة التى تغير كل شيء فيها.

العثور عليهم

بدأ الرجل يقترب من أطراف المدينة حتى وصل إلى الشوارع المزدحمة بالناس ولقد كان شكله غير مألوف فالملابس غريبه على الناس فى هذا الزمن، وهو يعتبر رجل غريب فلقد مرت أعوام كثيرة عليه وهو لايدرك كم مر من الزمن وراح الرجل يمشى فى الأسواق والطرقات وكان ينظر إلى الناس وهو فى حالة من الاستغراب والدهشة وكان الناس هم أيضا ينظرون اليه فى تعجب غريب لأنه الوحيد الذى يلبس ملابس لاتتماشى مع عصرهم وزمنهم وكأنه من عالم غير عالمهم.

وترك الرجل نظرات الناس له وراح يدخل من شارع إلى شارع من غير تفكير ونسى جميع ماقيل له من رفاقه وهو فى الكهف وكانت المفاجأة حينما ذهب إلى أحد البائعين طالبا الطعام فاحضر الرجل له مايلزمه وحينما طلب الرجل منه النقود وأعطاه تلك العملة القديمة فصاح الرجل وبدأ الناس يتجمعون حوله بعدما رأوا العملة القديمة وظنوا أنه قد عثر على كنز قديم وبدأ الحوار بينه وبينهم فهاهم يتكلمون ويصرخون وهو لايفهم أو يعى مايقولونه وهو يتكلم ويصرخ وهم أيضا لا يفهمون مايقوله ذلك الرجل وأصبح الموقف خطيرا وصعبا بالنسبة له.

الحاكم يسمع بخبره؟

زاد كلام الناس حول الرجل الغريب الذى يحمل معه النقود القديمة حتى وصل الخبر إلى حاكم البلاد والذى أرسل إليه بعضا من الجنود لكى يأتوا به، وبينما الناس متجمعين حوله حاول هذا

الرجل أن يفلت منهم ولكنهم كانوا قد حاصروه من كل جانب فلقد كان ينوى الذهاب إلى أصحابه فى الكهف فهم الوحيدون الذين يفهمون كلامه وهو أيضا يفهمهم.

وفر الرجل للمرة الثانية والناس خلفه فى تعجب ودهشة من ملابس هذا الرجل ومن شكله الغريب. وبعد أن هدأت عاصفة الأسئلة تعرف البعض عليه وراحوا يتذكرون أجداد أجدادهم وعرفوا أنه من هؤلاء الطائفة المؤمنة، التى فرت من المدينة وحاكمها الظالم الكافر.

وزادت دهشة الناس جميعاً بعدما تأكدوا أنه من هؤلاء الفتيه فراح الناس يجرون خلفه حتى وصل الرجل إلى الكهف لحظتها سكت الناس جميعا عرفوا أنه من أصحاب أهل الكهف والفتيه الذين هربوا بدينهم، من الحاكم الكافر والبلد الكافرة التى تغيرت وأصبحت بعد مئات السنين بلدا مؤمنة وحاول الناس دخول الكهف ولكن إرادة الله قضت على أهل الكهف بالنهايه.

الله لايخلف ميعاده

التف الناس حول الكهف وهم فى دهشة كبيرة بعدما تأكدوا أن هؤلاء هم الفتيه الذين خرجوا بدينهم فرارا من الملك الطاغيه ووسط تجمهر اعداد غفيره وكثيرة وإرتفاع الاصواب بالكلام توفى الله هؤلاء الفتيه جميعاً وظهرت معجزة واضحة وازداد إيمان الموجودين خارج الكهف بقدرة الله وقدرته على إحياء وبعث من فى القبور كيفما يشاء وأنه إيتما يعد يفى بوعده لان وعده هو الحق المبين والسراج العظيم.

واختلف الناس حول عدد أهل الكهف فهؤلاء يقولون أنهم خمسه وسادسهم كلبهم وقوم آخرون يقولون أنهم سبعه وثامنهم كلبهم وراح أهل المدينة يتجمهرون ويقترحون أن يبنى عليهم مسجدا لكى يظل، كعلامة شاهدة على فترة من الزمن وعلى طائفة مؤمنة هربت بدينها من أهل تلك البلاد الظالمه والحاكم الكافر.

ولكن ظهر للناس من يقول: اتركوا الأمر لله ولاتبنوا ولاتتكلموا، عن عددهم أن ماتم لهو آية من آيات الله لكى يعلمنا أنه الحق فى كل شىء فإن وعد الله حق وأن الحساب والساعة لاريب فيها وعلى الناس أن يأمنوا بهذا حتى يعيشون حياة هادئة وجميلة.

القصة كما رواها القرآن

قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ (سورة الكهف الآيات: ١٠ ـ ١٦)

ذو القرنين

لقد تكلم القرآن الكريم عن ذو القرنين وبين لنا جزءا صغيرا من ملامح شخصيته ومن معاركه ضد الفساد والضلال والكفر وكيف أنه كان يجوب الأرض من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى أقصى الجنوب وذلك من أجل نصرة الضعيف ومساعدة الفقير وقهر الظالم الكافر.

هكذا كانت شخصية ذو القرنين الذى أصبح المثل الأعلى فى الذكاء وفى الحرب وفى العدل وذلك لانه قد تعلم من الله كيف تكون العدالة وتعلم من الله محبه الخير وحب الناس وكره الدنيا وحب الآخره لانها هى دار القرار وهى المرسى الآخير للإنسان.

فتعالوا أبنائى نتعرف على شخصية الحاكم الصالح ذو القرنين.

الملك العادل

كان ذو القرنين يعيش فى بلاد اليمن كما اشار وتكلم معظم الرواة ولقد كان ملكا عادلا وصالحا يعرف الله ويعرف حدوده لذا مكن الله له فى الأرض وجعله يحكم معظم سكان الأرض ويسر الله له أسباب النجاح فى السيادة وفى الحكم وأيضا فى فتح البلاد الغريبة وذلك بقوة العقل وقوة الجيش ثم بالعدل الذى كان من دعائم وأساس شخصية ذو القرنين.

ولم يكن ذو القرنين ملكا صالحا فقط بل كان يعرف كل أنواع البناء والعمران ويعرف انواع المعادن ويصنفها ويعرف كيف يصهرها ويجعلها سائلة، مثل الماء فهو كان يتمتع بقوة عقل وذكاء خارقا للعادة.

بهذه الشخصية الفريدة حكم ذو القرنين البلاد وساس العباد الذين أحبوه حباً حقيقيا وتعلقوا به لكثرة عدله وحسن خلقه فى معاملة الناس أحسن معاملة لذا أصبح ذو القرنين الملك الوحيد الذى يحكم الأرض وهذا الشئ قليل حدوثه أن يحكم ملك وحده الأرض وكل الرعية تحبه وتتعلق به وذلك بفضل الله على ذو القرنين الذى أحسن إلى الله فأحسن الله إليه.

القائد الصالح

كان ذو القرنين الملك القائد كل يوم يخرج من بلاده ويذهب على رأس جيشه القوى والكثير العدد من خيرة الجنود ثم يسيح فى الأرض يبحث عن المظلوم ولايريد ظلما أو احتلال أى بلد ولكن لكى يزرع ويقيم الحب والعدل وليرفع الطغيان والظلم عن اكتاف الضعفاء فكان ينصرهم ثم يذهب بجيشه إلى ناحية بلاد المغرب عند المحيط الأطلنطى ويجعل جيشه يستريح من عناء الحرب والسفر ثم يعاود السفر والحرب ويرجع إلى بلاده

المساواة بين الناس

عندما وصل ذو القرنين إلى مطلع الشمس هناك رأى أمامه قبائل كثيرة وناس مختلفو الأشكال والألوان وحتى فى اللغات وكان منهم الكافر ومنهم المؤمن بالله وقد تضاربت الحياة وقل الخير والعدل عندهم ولقد خرج ذو القرنين من أجل نشر الحق والعدل بين الناس راغبا وداعيا للخير.

لذلك راح ذو القرنين يعلن للناس دستوره القائم على محبة الله والعدل ولقد أحس وادرك من شاهدوه أنه جاد وقادر على

تنفيذ وتحقيق ما قاله وأعلنه لذا أذاع أن المعتدين والمتجاوزين لحدود الله فسوف يعذبهم ذو القرنين عذابا شديدا فى الدنيا ثم يردهم إلى الله فيعذبهم فى الآخره عذابا عظيماً وأما من أمن وعمل صالحا فإنه سيكون له الجزاء الحسن والمعاملة الطيبة والمساعدة والتيسير فى كل شىء.

ثم أتبع سببا

بعدما وضع ذو القرنين دستوره إلا وهو القانون الذى يضبط العلاقة بين الناس وبين الحاكم وينظم كل شىء فى البلاد بالعدل وبالإحسان ويعاقب الظالم عندئذ يجد الناس مايجعلهم يحبون البلاد والعمل فيها وبناء كل شىء تهدم فيها وأما اذا مال ميزان الحكم فسوف تضطرب البلاد ويصبح الظالم يعيش فوق الضعيف ويصبح البرئ لصا واللص بريئا.

وبعد هذا القانون العظيم الذى ارسى دعائمه الفاتح والملك ذو القرنين راح هذا الملك صاحب الجيش القوى والسلطان الكبير راح يرحل من جديد ويزحف بخيوله ليزرع فى الأرض الخير فلقد كان من أمر الله، عز وجل لـ «ذى القرنين» أن يظل ويكون للناس أداة للعدل وللإصلاح لذا راح ذو القرنين وهو فى أقصى الدنيا وبالتحديد فى المغرب نراه يأمر جيشه ويشد الرحال إلى بلاد المشرق ويتبع سببا من أسباب وأوامر الله له مستعينا بالله ومتوكلا على الله وتمضى الأيام والليالى، ويذهب ذو القرنين بين الجبال والوديان ولا شىء يعوقه حتى بلغ مشرق القارة الإفريقيه فراح يزرع القانون والعدل فى تلك البلاد ويوطد فيها أساس الإيمان ودعائم النظام.

هكذا كانت رحلات ذو القرنين بين المشرق والمغرب وبين المغرب والمشرق فمرة يرحل بجيشه فى شروق الشمس ومرة أخرى يعود وقت المغرب وذلك من الهدايه والصلاح والخير للناس أجمعين.

بلاد بين السدين

بعدما رحل ذو القرنين بين المشرق والمغرب وأنجز المهمة الموكلة من الله له عاد إلى بلاده واعلام الانتصارات ترفرف عالية خفاقة فيسجد لله القادر المقتدر ويتواضع ويزيد النصر لأوامر الله ولا يقول هذا من صنع قوتى بل هو من عند الله وبفضله قوته العظيمة.

وبنيما ذو القرنين عائد إلى قاعدة ملكه فى اليمن عرف من بعض القبائل أن بلاد «بين السدين» بها الكثير من الظلم والفتن وأن جميع الناس هناك يعانون من قوة بأس الغرباء والمحتلين لبلادهم.

لذا قرر ذو القرنين إنقاذهم ورد المعتدين ونصرة البسطاء ورغم أنه كان يحتاج إلى الراحة هو وجيشه إلا أنه نسى هذا وراح يرحل إلى تلك البلاد ويؤثر مواصلة الرحلة والجهاد فى سبيل الرحمن من أجل العدل، ورد كيد الأذى عن الضعفاء هكذا كان ذو القرنين لايهدأ ولا يعرف طريق النوم والراحه بل كان يحب الحق والسفر ونصرة الضعفاء.

شعوب يأجوج ومأجوج

ذهب ذو القرنين وجيشه إلى بلاد «مابين السدين» والتى كانت تقع فى الشرق الأقصى فى وسط قارة آسيا ولقد كان يسكنها بعض الناس ممن يعيشون البدائية وحياة الفطرة البسيطة وفجأه ظهرت شعوب يأجوج ومأجوج وكانت تتدفق من وقت لآخر وتدخل

هذه البلاد وذلك من خلال ممر جبلى كبير كانت تدخل وتحتل هذه البلاد لفترة من الوقت فتزرع الفساد فى الأرض وتقتل الأطفال والشيوخ وتسبى النساء وتسرق وتنهب المحاصيل والأغنام فيهرب الناس منهم بعيدا عن وطنهم ويتركون الأرض والزرع وحتى الأطفال وذلك من شدة الخوف والفزع. لقد تكرر هذا المشهد كثيرا ولم يعد فى مقدور أهل هذه البلاد أن ترد تلك الشعوب أو ترفع الأذى عن نفسها.

هكذا كانت حالة هذه البلاد فيوم يعيشون فيه من غير ماء ويوم آخر تسفك الدماء وكأنها أنهار ويوم آخر تسبى النساء ولم يعد من يستطيع أن يهزمهم غير ذى القرنين لانه يمشى حسب ارادة الله ويأمر من الله عز وجل ولايبغى احتلال أرض أو حتى العدوان ولكنه يحب العدل والخير أن يعم جميع أنحاء الأرض وأن يظل الناس فى أمان، آمنة على حياتها وعلى أولادها وعلى أوطانها.

نصره الضعفاء

رحل ذو القرنين إلى بلاد «مابين السدين» من أجل رد كيد شعوب يأجوج ومأجوج الظالمه فلما وصل إلى تلك البلاد خاف أهلها وظنوا أن ذو القرنين من طراز شعوب يأجوج ومأجوج يبغى الفساد والعدوان. لهذا هربوا إلى كهوف الجبال وراحوا يتحصنون بها ولقد تركوا كل شىء وراءهم الأبناء والماشيه والأرض.. ولقد أحس ذو القرنين بخوفهم فذهب إليهم وراح يهدأ من روعهم ويطمأنهم على أنفسهم وعلى حياتهم وبالفعل نجح ذو القرنين ونزل الناس من أعالى الجبال وعادوا إلى بيوتهم.

وراح ذو القرنين يوضح لهم القصد من دخوله لبلادهم وأن الغرض هو نصرهم ومعونتهم فى القضاء على شعوب يأجوج ومأجوج الظالمة.

وبعد أن أنهى ذو القرنين حديثه طلب أهل البلاد أن يقيم لهم حاجزا، يجعل يأجوج ومأجوج لايدخلون بلاد ما بين السدين وذلك مقابل أجر.

ماعند الله خير وأبقى

أبتسم ذو القرنين عندما سمع منهم كلمة الأجر وعلى الفور قال لهم: إن الله أعطانى الكثير من النعم فى العُقل وفى السلطان وفى كل شىء وسوف يعطينى الأجر الكبير فى يوم القيامه ياقوم: إن أجرى إلا على الله.

وجاء صباح اليوم التانى وذهب ذو القرنين ورأى أن أسهل طريق لإقامة السد هو ردم الممر الجبلى وبذلك يصبح الجبلان جبلا واحداً. لهذا طلب من الناس أن يساعدوه بالمال وبقوة أبدانهم وأن يجمعوا له الكثير من قطع الحديد وبعدما جمعوا له الحديد راح يضع القطع فى الممر حتى سد جميع المداخل، وبعد ذلك أمر الناس أن يشعلون النيران فيه وينفخوا لكى يسيح الحديد ولما توهج وذاب راح ذو القرنين يفرغ عليه النحاس المذاب وبذلك تتماسك قطع الحديد وتصبح قطعة واحدة وبالفعل أصبح الجبلان بفضل هذا الاختراع قطعه واحدة ناعمة الملمس لايبقى فوق سطحها أى شىء ولا يستطيع أى إنسان أن يحدث فيه نقبا أو نقره. وبذلك لم يعد فى مقدور شعوب يأجوج ومأجوج دخول هذه البلاد مرة ثانية.

وبعدما أنهى ذو القرنين مهمته الكبرى وزرع العدل فى تلك البلاد راح يسجد لله ويشكره على فضله وراح يرد إلى الله العمل والافعال الصالحة التى قام بها ذو القرنين وتبرأ ذو القرنين من قوته وقوة جيشه ورد كل شئ إلى الله القوى العليم الفعال لما يريد.

القصة كما رواها القرآن

قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾

(سورة الكهف الآيات: ٨٣ ـ ٩٨)

قارون أغنى الناس

لقد رزق الله قارون المال وجعله أغنى أغنياء الناس أجمعين وكان قارون يعيش مع أهله من بنى إسرائيل الذين كانوا يعيشون تحت حكم فرعون الذى كان يستعبدهم ويقيدهم فى سلاسل السخرة لكى يخدمونه.

وراح سيدنا موسى ينشط هو وأخوه هارون من أجل تخليص بنى إسرائيل من قيد العبوديه والاستعباد ويرحل بهم إلى أرض الميعاد.

ولقد عانى سيدنا موسى من أجلهم ومن أجل زرع العزة والكرامة فى أنفسهم التى اعتادت حياة الذل والهوان فقررا المواجهة مع فرعون الكافر وكانت المواجهة شرسة مع قارون الذى يتمتع بطغيان المال وطمع الدنيا وحبها وكان قارون وفرعون كل منهما يحب الدنيا ولا يعمل حسابا للآخرة.

وأصبح قارون المثل والحلم للجميع فالكل يحلم أن يكون مثله غنا والكل يتمنى أن يكون عنده الذهب والجواهر واللآلئ فلقد حكى عنه أنه كانت لديه مفاتيح كثيره. يعجز عن حملها أقوى الرجال وكان عنده قصر يساوى قصر فرعون بل وأكثر.

المال امتحان من الله عز وجل

لقد اراد الله عز وجل أن يختبر قوة إيمان وعقل قارون لذا أعطاه من المال الكثير ولكن أصحاب العقل الضعيف أولئك الذين يحبون الدنيا ولا ينظرون إلى سوء العاقبة فالكثير من الناس يحبون

المال ولكن الذكى والمؤمن منهم من يرى أن فى هذا المال بلاء عظيم فمن يستخدم ماله فى طاعة الله وفى فعل الخير يظل ماله كثيرا وله عند الله الأجر والثواب الحسن وإما من أنفق ماله فى ابتغاء الشيطان واللهو فإنه يوم القيامة سيظل مذموما مدحوراً فمن يعرف الله فى أوقات الخير يعرفه الله فى ساعات البلاء والضر ويساعده على الرجوع الى طريق الصواب.

والحكمة تتجسم فى أن يذكر الإنسان ربه قبلَ كل شىء يفعله فمن يقدم مشيئة الله على فعله لن يستطيع أحد فى الأرض أو فى السماء أن يلحق به أى ضرر لان الله سيكون معه ويحفظه من أى اذى فمن يتقى الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب.

ولكن قارون نسى كل شىء نسى حتى الله الذى اعطاه المال والقلب وكل شىء وراح قارون لايفكر إلا كيف يوسّع فى ماله وذهبه ولم يشغل عقله ولو لحظه فى أن المال ابتلاء من عند الله بل زادته الدنيا طمعاً، وراح يسعى فى حفظ الجواهر واللالئ ولم يحفظ الله فى قلبه.

الغرور

ازداد قارون فى إغداق المال بسبب وبغير سبب وتوسع اكثر فى الثروة وراح يمشى مشى فرعون وكفر مثله وطغى فرغم أنه كان من بنى إسرائيل إلا أنه كان مختلفاً عنهم فى كل شىء متميزا عليهم بقوة المال والسلطان.

وراح قارون يطلب الدنيا ونسى الله فانساه الله نفسه وجعله مثل الحيوانات لايفكر إلا فى الأكل والشهوات وتجبر وتكبر على

بنى عمومته وراح يذل الناس الذين يه يشون معه وحوله وسخرهم لكى يخدموا أغراضه، وشهواته الدنياويه وأصبح المال يتحكم فى مشاعر قارون وفى وجدانه لذا راح يضحك بمنتهى الغرور والكبرياء وكانت عيناه تثبت حينما يرى الذهب واللؤلؤ وراح يلبس أغلى أنواع الملابس ويضع فى أصابعه من الخواتم الكثير لدرجه أن أصبحت أصابعه كلها بها خواتم والناس من حوله يحلمون أن يصبحوا مثله والفقراء ينظرون له كل نظرات الحقد لانه لم يزكى ولم يساعد المحتاجين بل كان يصرف المال على نفسه واعوانه الكافرين والعاصين ولم يفعل الخير للناس.

الحوار بين موسى وقارون

ارسل سيدنا موسى لقارون بعض شيوخ بنى إسرائيل لكى يقولون له أن عليه ان لا يتعالى ولا يتجبر ولا يفرح فان الله لايحب الفرحين وراحوا يذكرونه بعقاب الله للمذنبين وللفاسقين وأن عليه أن يرجع إلى الله.

ولكن قارون لم يهتم بكلامهم بل سخر منهم جميعاً لذلك ذهب سيدنا موسى إليه بنفسه حتى يكون بريئاً منه أمام الله يوم الحساب.

وأول سؤال قاله سيدنا موسى له: يا أخى قارون لقد أعطاك الله المال الكثير ولم يعط لأحد مثل هذا المال وذلك لكى يختبرك ويفتنك لذا، عليك ياأخى أن تكن عادلا وتعمل ليوم الحساب ولاتنسى نصيبك من الدنيا وان عليك ان تنفق المال فى سبيل مرضاه الله وان تجعله لمساعده الناس الفقراء والضعفاء والمحتاجين وأن توجه هذا المال لفعل الخير، وحسبك يا أخى

ماتأكل وما تلبسه فقط وتترك الباقى لمن هو محتاج واطلب فيما آتاك الله الدار الآخرة نعم الآخره ولا تنظر للدنيا لانها دار فتنه وطمع وغرور.

ولكن قارون لم ينظر لسيدنا موسى ولم يحاول أن يفكر فى نصيحة نبى الله له بقى على عناده وغيه وكبره.

عدم الإعتراف بفضل الله عليه

لم ييأس سيدنا موسى من عدم سماع قارون لنصيحته راح يحدثه ويصبر عليه لعله يتعظ ولكن قارون كان غائبا عن الوعى فهو معجباً بنفسه وبالذهب وبقصره العظيم وبالخدم والعبيد والشموع المضيئه ولم يهتم بكلمات سيدنا موسى، وعندما أحس نبى الله موسى أن قارون فى انصراف تام عن حديثه وكأنه لايرى ولايسمع ولا يعقل صبر قليلا وصمت بعد الوقت ومرت دقائق بعدها قال سيدنا موسى له آخر نصيحه وهى: ياقرون كيف لك أن تسيىء إلى الله وهو قد أحسن إليك بأن اعطاك العافية والمال، الوفير لكى تعيش فى حياة كريمه وأن عليك أن تعدل فى انفاق هذا المال ولتعلم لو بقيت على هذا الفساد والضلال فان الله لايحب المفسدين وأنه أيضا لايحب الفرحين المغرورين فانتبه وحاذر من غضب الله عليك وعقابه انه لايفلح الظالمون.

وكانت كلمات ونصائح سيدنا موسى تدخل فى أذن قارون وتخرج سريعة بغير أن يحفظها أو حتى يفكر فيها بل كان يفكر فى الدر والياقوت والمرجان كان يفكر فى الثروة والناس الذين ينظرون له وهو ماشياً فى الأسواق مغرورا او فرحا بنفسه وماله الوفير.

عدم سماع نصيحة موسى

أحس سيدنا موسى بعدم جدوى الحديث مع قارون فقرر الخروج من عنده وأثناء خروج نبى الله قال قارون له بصوت فيه من الغرور والغضب: ياموسى ليس لأحد من الناس فضل علىَّ فى هذا المال الكثير ولا حتى إلهك يا موسى فإنما أوتيته على علم وذلك لاننى قد تعلمت وكونت سلطانى، وثروتى بنفسى وحتى لو أن ربك كما تزعم أعطانى هذا المال وذلك لاننى أحسن الناس فى الأرض لذا أستحق أن يكون لى هذا المال.

وبقى سيدنا موسى يستمع لكلمات قارون ولم يغضب منه بل قال له بصوت به من الرحمه والعطف: ياقارون لاتجعل النفس تخدعك وتصور لك سوء الأعمال على أنها حسنات ولاتجعل الشيطان يسيطر عليك وعلى عقلك ولتعلم أن الله عذب أناسا كثيرين كانوا قبلك وكان فيهم صاحب الجبروت وصاحب المال وصاحب السلطان وأخذهم الله بذنوبهم وعذبهم وسيعذبون عذابا شديدا يوم القيامه فاحذر كل الحذر من أن تموت قبل أن يتوب الله عليك. ثم عاد سيدنا موسى إلى بيته.

قارون يقلد الملوك

لم يحفظ قارون أى شيئاً سمعه من نبى الله موسى بل ظل فى غيه وعناده، وراح يفعل كل شىء يغضب الله ويجرح مشاعر الناس «فخرج على قومه فى زينته» ولم يمتثل لأمر الله ففى صباح اليوم التالى وضع قارون على رأسه الجواهر والياقوت فى تاج يشبه تاج الملوك وخرج إلى الناس من قصره وكأنه ملك من الملوك حوله

الخدم والحشم متراصين على الجانبين وهم فى أكمل وأبهى زينه فهذا يمسك بالفرس والآخر يحرق من البخور وذلك يبعد الناس عن مسيرة قارون وهؤلاء يحملون السلاسل والمفاتيح فى حالة من العجب والدهشة لذا راح معظمهم يهتف من شدة اعجابه، بقارون وموكبه المهيب وراح بعض الناس يتمنى أن يكون عنده ماعند قارون من الذهب والمال الكثير وأن يخدمه خدما مثلما يخدمون قارون. وصار الموكب الرهيب وقارون يمشى فرحا بنفسه ويتبختر فى كبرياء وخيلاء وينظر يمينا فتهتف النساء بحياته وينظر شمالا فتصيح الرجال وهم فى حسرة ويقولون: ياليت يكون عندنا جزءا مما عند قارون هكذا أصبح قارن المثل فى الغنى الفاحش الكبير.

فتنة قارون

سقطت بعض النفوس الضعيفه وراحت تتمنى أن تؤتى مثلما أوتى قارون من الغنى وكثرة المال وعصف حب المال بأفئدتهم التى كانت تحب الدنيا ولاتنظر بعين الصواب إلى الآخرة وهى الدار الباقية والحقة.

لقد زين الشيطان اللعين لهؤلاء أن مايفعله قارون لهو الصواب فنسوا أن الله هو الرزاق ورب العرش العظيم ونسوا أن الله هو المسبب والمعطى والمانع والنافع والضار بل أصبح قارون عندهم المثل الأعلى فى الحياة الدنيا ولا أحد غيره فهو الوحيد الذى يشبه الملوك فى كل شيء فى الطعام والشراب والملابس وفى الخدم أنه ملك فى الغنى مثله مثل فرعون مصر يمتلك كل شيء حوله. إلى هذا الحد كانت فتنة الناس بقارون الذى لم يتق الله ولم

يشكره على ما أعطاه من نعم بل نسى الله وزاد فى كبريائه وغروره وجعل الناس يفتنون به من شدة بذخه وماله ولم يساعد الفقير والمحتاج ولم يعاون الضعيف ورغم ذلك أحب الناس أن يكون عندهم ماعنده من الثروة والمال ولم يفكروا فى سوء العاقبة.

الأرض تبتلع داره

مر اليوم بسلام على قارون ولم يمر على جموع الناس الذين كانوا فى حالة من الحزن لأنهم فقراء وقد لعبت بهم الظنون فراحوا يحلمون بالمال وحب الدنيا فهذا قد أوى إلى داره وراح يحقد على قارون وهذا ظل فى الشارع يتمنى أن تنشق الأرض وتخرج له كنزا ضخما من الدنانير.

وبدأ الليل يرسم ظلماته على المدن والمنازل بينما كان قارون يحاول النوم ويفكر فى الصباح التالى ماذا سيفعل فيه وفجأه وقعت الواقعه وبدأ عقاب الله يظهر فالأرض راحت تهتز وتنشق وترتجف فاذا بها تبتلع قارون وداره «فخسفنا به وبداره الأرض» وراحت المبانى تتمايل وتترنح وبعض دقائق عاد كل شىء كما كان وقام الناس وفزعوا من نومهم مذعورين فى خوف ورعب شديدين وفجأه اذا بهم جامدين وواقفين فى أماكنهم كأنهم موتى وراحوا يقولون: أين قصر قارون أين الدنانير الذهبيه فلقد تساقطت أعمده القصر الضخم وأصبح فى قاع الأرض وكأن شيئا لم يكن.

حكمة الله

لقد كانت حكمة الله عز وجل أن قضى على قارون وذلك

لكفره وغيه وعدم شكره لله الغنى الحميد وعدم الإعتراف بفضل الله عليه.

وبدأت الشمس ترسم خيوط أشعتها على البيوت وراحت جموع الناس تحاصر مكان قصر قارون الذى لم يبق منه إلا الحطام البسيط وأصبح بدلا من القصر العظيم أكواما من الخشب المحترق والماء العكر يغطى جميع ماتبقى من مكان القصر.

وعاد الناس إلى رشدهم فالذى كان يتمنى أن يؤتى مال وغنى قارون اذا به يندم ويحمد الله على أنه لم يعطه هذا المال.

وأما المؤمنون الذين يعرفون الله حق معرفة اذا بهم يقولون: الحمد لله الذى صدق وعده فهو الغنى الحكيم يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويمنع بفضل قدرته فالحمد لله الذى قد نجانا من هذا ولم يخسف بنا الأرض فله الحمد فى الدنيا وله الحمد فى الآخره وهو على كل شىء قدير.

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

(سورة القصص الآيات: ٧٦ ـ ٨٣)

ملكة سبأ

سليمان النبي والملك

لقد أوتي سيدنا سليمان ﷺ بجانب النبوة ملكا من نوع خاص حيث أن الله قد جعله ملك البشر والطيور والحيوانات والجن والريح وحتى الحشرات.

ولقد علمه الله سبحانه وتعالى لغات الطير ومنطقه وعلمه كيف يتعامل مع الجن، وسخر له جميع الحيوانات تمشى بأمره وكان ذلك من فضل الله ورضوانه على سيدنا سليمان الذى كان عبداً أوابا دائم الشكر والتواضع لله ولم يكن متكبرا جاحدا لفضل الله عليه بل كان دائماً يقول: هذا من فضل ربى.

وادى النمل

جمع سيدنا سليمان جنوده وراح يمشى بهم فأمامه الحيوانات والطيور والجن وراحت الجنود تنتشر فى الجبال وتملأ الأرض بالتسابيح وشكر الله وبينما هو سائر إذا به يمر على وادى النمل فيسمع نملة تقول لعشيرتها وأهلها: أيها النمل ادخلوا مساكنكم واختبئوا فى قاع الأرض اننى احذركم، حتى لاتدوسكم أقدام سليمان وجيشه لحظتها أبتسم سيدنا سليمان وراح يشكر الله ويحمده على أنه جعله يفهم حتى لغة النمل وهذا من كرم الله ورحمته بسيدنا سليمان الذى كان دائماً يشكر الله قائلا: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ نعم إلى هذا الحد كان

نبى الله سليمان شاكرا وحامدا لله ولفضله ولم يكن مغروراً ولا متكبرا أو حتى بطراً

غياب الهدهد

بينما سيدنا سليمان يفتش على جنوده ورجاله راح يتفقد الطير ويطمئن عليه كأى قائد جيش يمر على جيشه ويستعرض عسكره واذا به لايرى الهدهد فقال ﴿مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ أى لماذا لم يحضر الهدهد ولم يقل عن سبب غيابه؟! ثم راح يقول على الملأ من جنوده ﴿ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ وبينما سيدنا سليمان يحدث جنوده عن غياب الهدهد اذا بالهدهد يرفرف بجناحيه ويقول له: سيدى أعلم أننى قد تأخرت ولكن لى عذرى فقال سيدنا سليمان: تكلم ولاتضيع الوقت؟!

فقال الهدهد له: لقد طرت فى الآفاق بعيدا عن وطننا وعرفت أن أمراً يهمك ولكنك لاتعرف عنه شيئا وجئتك من «سبأ» بنبأ عظيم فلقد وجدت امراة، تسجد للشمس هى وشعبها من دون الله؟

فقال له سيدنا سليمان: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾

عبادة الشمس

لقد كانت مملكة سيدنا سليمان فى مدينة القدس وكانت مملكه سبأ فى اليمن والبلدان بينهما مسافة كبيرة وشاسعة وبلاد وأمصار.

وكانت الملكة «بلقيس» تحكم البلاد وتسيطر على مقدرات

الأمور فلا شيء يمر إلا من خلال أمرها ولقد أوتيت من الجمال الكثير ومن الغنى المال الوفير ومن السلطان والنفوذ والحكم القوى.

وراح الهدهد يصف لسيدنا سليمان ما رآه عن تلك المرأة الحاكمة وشعبها فلقد رزقها الله المال والماء وكل أسباب الحياة الكريمة ولكنهم قد آثروا الكفر على الهدى والضلالة على النور المبين وراحوا يعبدون الشمس من دون الله وذلك بعد أن زين لهم الشيطان اللعين سوء العمل على أنه الحق والصواب وجعلهم يسجدون للشمس وتنحنى جباههم لها فلقد كان الأجدر بهم أن يطيعوا الله ولايهيموا فى بحر الضلال والجهالة لان الله قد أنعم عليهم ولم يحرمهم من أى شئ وهو العلى القدير الذى يعلم ما تخفى الصدور ويعلم مايسرون وما يعلنون ولكنهم أحبوا الكفر على الإيمان وفضلوا أن يسجدوا لمخلوق مثلهم وليس لخالق كل شيء.

رسالة سليمان عليه السلام

كان سليمان قد استمع من الهدهد كل حديثه ولكنه قال له: لن أصدق كلامك قبل أن تظهر الحقيقه وراح سيدنا سليمان يكتب رسالة إلى ملكة «سبأ» وجعل الهدهد يحملها وكلفه أن يحافظ عليها وأن يحاذر فى إلقاء تلك الرسالة ثم يختبيء ويراقبهم من بعيد وينظر ماذا سيحدث لهم من أمر الرسالة. وحمل الهدهد الرسالة وعندما وصل إلى اليمن راح يلقى بالرساله عند سرير الملكه «بلقيس» التى لم تكن موجودة فى هذا الوقت وعاد الهدهد إلى أعلى القصر وراح ينظر ماذا ستفعل الملكه بهذه الرسالة.

مرت ساعات ودخلت الملكه إلى غرفه نومها وراحت تغير

ملابسها بفضل مساعدة الخدم والوصيفات وبعدما أكملت الملابس وارتدتها راحت تتقدم إلى السرير وفجأة اذا بها ترى الرساله فأخذتها وقرأت ما بها وتتفحص مافيها وفجأة ذهب النوم من عينيها فتجهمت وقضبت وراحت تفكر والرسالة مازالت فى يدها وتقول: ماذا أفعل فالوقت متأخر وجميع الوزراء والخدم نائمون أأنتظر الصباح أم أصدر أمرا بالحضور إلىَّ هكذا ظلت الملكة بلقيس فى حالة من الحيرة حتى أتى الصباح.

الملكة ومجلس الوزراء

أمرت الملكة باحضار جميع الوزراء وأعضاء الحكم وذلك لبحث أمر الرسالة وعلى الفور دخل جميع الوزراء وأهل الشورى إلى ساحة العرش فأشارت إليهم بلقيس بالجلوس بعدما هى جلست ثم قال لها كبير الوزراء: لماذا هذا الإجتماع المبكر أما كان لك أن تؤخريه؟ فقالت بلقيس لهم لقد وصلت لى رسالة من سليمان ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فنظر بعضهم إلى بعض ولم يتكلم أى أحد منهم وعادت تقول لهم بعدما تفحصت وجوههم: يا أيها الوزراء ساعدونى فى هذا الأمر فأنا لم أفعل شيئا إلا بعدما أتكلم معكم فيه.

لقد كانت الملكة بلقيس تسمع عن سيدنا سليمان وتعرف من بعض التجار والمقربين أن له من الجيش الكثير ومن السلطان والنفوذ القوى لذا لم تتهاون فهى تعلم أن إنذار سيدنا سليمان وتحذيره فيه كل الجد وأن عليها أن تتخذ الحل المناسب فى أسرع وقت ممكن حتى تتدارك ماسيفعله سيدنا سليمان بها وبجيشها؟

وبعد فترة من الصمت قال الملأ من وزرائها: نحن أولوا قوة وأولوا باس شديد. والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين. فقالت بلقيس لهم: يا أيها الملأ أننى لا أريد لبلدى أن يحتل ويعانى معاناة كبيرة فلو دخل سليمان بلادنا فلن يخرج لانه الأقوى لذا سوف أتحايل عليه وأجاريه لكى أعرف ماذا يخبىء فى نفسه.

قال أحد الوزراء لها: أيتها الملكه فيما تفكرين؟

فقالت بلقيس له ولجميع الوزراء: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ بالفعل وافق الجميع على تدبيرها وحيلتها وراحت بلقيس تجمع من عندها الياقوت والجواهر والدنانير الكثيرة بجانب العطور والالات والمرايا وكل ماينفع سيدنا سليمان وبعدما أتم رجالها جمع الرشوه أو الهديه قالت بقليس لو كان سليمان ملكا طماعا فسوف يفرح بالدنانير ولو اراد الصواب فلن يأخذ الهديه.

عند ربى الخير كله

مرت أيام ووصل الرجال إلى القدس ومعهم الجمال محملة بالهدايا والجوارى ثم دخلوا قصر سيدنا سليمان وهم فرحين بها ولكن نبى الله رفض هديتهم وكيف له أن يختار الدنيا ويترك الآخرة فهو لم يكن ملكا من ملوك الدنيا الذين يحبون المال والسلطان ولم يكن طامعا إلا فى محبة الله ورضاه وعفوه لذا قال لهم: ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ

تفرحون﴾.

ولم يستوعب كبير الرسل ماقاله سيدنا سليمان ولكنه أحس بمعنى الكلمات، حينما رد لهم الهدية ولم يأخذ أى شئ منها.

وقبل أن ينصرف كبير الرسل ويرجع إلى بلاده فى اليمن قال له سيدنا سليمان وهو غاضب للحق وليس غاضباً منهم:

﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾

وبعد أن توعد وانذر سيدنا سليمان كبير الرسل وأن عليه أن يخبرها بعدم قبول الهديه رجع سيدنا سليمان إلى مجلسه وراح يفكر فى آمر بلقيس.

الدليل على صدق سليمان

ظل سيدنا سليمان يفكر كيف يجعل الملكه تصدقه وبدون أن يخرج إليها بجيشه فهو كان يحب السلام وعدم الإضرار بالناس لذا أراد سيدنا سليمان أن يقنع الملأ من مملكة سبأ ويقنع الملكة ذاتها بصدقه وبالدليل، الحسى المادى أن قوته مستمدة من الواحد القهار وأن أية قوة زائلة، مهما كانت ذات سيادة فهى ضعيفة وفارغة بالنسبة لقوة الله.

وعلى الفور نادى سيدنا سليمان جميع جنوده من الأنس والجن والطير وراح يقول لهم: يا أيها الملأ أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين»؟

الجن يأتى بعرش بلقيس

مـرت لحظات وراح كل من الأنس والجن يتـبـاري فـى أن ينال رضى سيدنا سليمان فهذا الجن يقول له: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ولكن سيدنا سليمـان كان يريد أن يؤتى بالعرش فى أسرع وقت.

واذا بأحـد من الجن يقـول له: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فـوافق سـيـدنا سليـمـان ومـرت لحظة وحـيـده واذا بعـرش بلقـيس مـوجـود بين يدى سـيـدنا سليـمـان وفى نفس الوقت وصلت بلقيس بالقرب من مدينة القدس معلنة ولاءها لسليمان وأمر سيدنا سليمان أن يغير بعض مـلامح عـرش بلقيس لينظر كونها مؤمنة أم كافرة.

الرجوع إلى الله

وصلت بلقيس إلى قصر سليمان وقيل لها: «أهكذا عـرشك فقـالت فى شئ من الجهل «كـأنه هو» وبدأت مـلامح الإيمـان تدخل قلب بلقيس التى أحست بقوة نورانية عظيمة غير قوة السلطان والحكم أنهـا قوة الله القـادر العظيم وبدأت مـلامح الجـاهليـة تنهار أمـام قـوة الحق وطـأطأت بلقيس رأسـهـا أمـام الحق اللدنى والعلم الذى وهبـه المولى لسـيـدنا سليمـان فـاذا بها تقـول ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهكذا انتصر الحق وزهق الباطل

قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾

(سورة النمل الآيات: ٢٠ ـ ٣٤)

أصحاب الصريم

الرجل الصالح

ذكر كثير من المؤرخين أن هذا الرجل كان يعيش فى اليمن وكانت له حقول وبساتين مثمرة وترعى الماشيه والأبقار بها.

وكان هذا الرجل صالحا يعرف حدود الله فهو يصلى ويصوم ويزكى ولايترك أحدا عند بيته يطلب العون إلا أعانه وساعده على قضاء مايحتاجه من مال أو طعام أو حتى المضايفة لذا كانت الناس تقصده وتحب أن تراه لكثرة عطفه على الفقراء والمحتاجين الذين كانوا يدخلون البساتين والحقول فى وقت الحصاد فكان الرجل الصالح لايمنعهم من دخولها بل كان يتركهم يأخذون ويأكلون منها ما يشاؤون فمن كان غريبا ومسافرا اعطاه هذا الرجل ما يحتاجه من ثمار البساتين ومن كان جائعاً يدخله الرجل فى بيته أو فى الحقول ويجعله يأكل ماتقع عليه عيناه من الثمار رأياً كانت فهو كان يحب الله ويعلم أن كل شىء ملك لله الوارث والباقى والعظيم المقتدر لذا بارك الله فى بساتينه وحقوله فلا تأتى إليها الحشرات التى تضر الزرع ولاتموت شجرة من أشجار الحقول بل كانت دائماً جميلة ويانعة تهتز شمالا ويمينا وذلك بفضل الله.

الطمع وعدم شكر الله

ومرت الأيام وكبر الرجل الصالح وأصبح لايقدر على زرع البساتين وترك أمر البساتين لأبنائه الثلاثه لكى يرعوا الزرع ويحافظوا على مازرعه الرجل من نبات الخير ومن مساعده الفقراء

وراح يطلب منهم أن يذكروا الله فى الصباح والمساء ويشكروه على أنعمه الكثيرة وان لايردو يد أى محتاج يلجأ إليهم.

فلما مات الرجل الصالح اجتمع بنوه الثلاثه وقال بعضهم لبعض: لماذا نعطى هؤلاء المساكين من ثمار البساتين ونحن أحوج إلى ثمارها وعندنا من الأطفال الكثير. وراح الآخر يقول لهما وقد نسى فضل الله ورحمته عليهم: تعالوا يا أخوتى نذهب معا حينما يأتى الليل ثم نقطف جميع ثمار الحقول ونخبئها قبل أن يعلم المساكين بها.

أما الثالث فقد قال لهما: يا أخوتى اتقوا الله ولا تفعلوا هذا وأذكروه وسبحوه فهو الرزاق وهو العاطى. وبعد ان ذهبوا إلى فراشهم حتى تأتى الساعة المحددة بعدها تبدأ عملية جنى الثمار وحتى لاتأتى المساكين إلى البساتين مرة ثانية ويكون المحصول لهم وليس لغيرهم.

احتراق البساتين

وفى الساعة المحددة التى اتفقوا عليها ذهبوا ليلا وكانت المفاجأة الكبرى حيث رأوا البساتين وهى محترقة ومسودة ولم يتبق منها أى شئ ينفع، فجميع الثمار متفحمة وغير صالحة فلقد طاف عليها سيدنا جبريل وذلك بأمر الله عز وجل وهم نائمون فصارت كالصريم أى مثل الليل المظلم فاحترقت وأصبحت الحقيقة واضحة بعدما تأكدوا أن البساتين كلها محترقه لذا قالوا: إنا لضالون أى أننا قد سلكنا طريقا غير طريق الخير والصواب وذلك لما بيناه من منع الفقراء من دخول الجنة ومن نية عدم التصدق عليهم فلذلك

قد عوقبنا من الله وحرمنا الله بما صنعنا من فعل سيئ.

لحظتـهـا قـال أوسط الأبناء الثـلاثة وكـان من أحـسـنهم وأعقلهم: ألم أقل لكم لولا تسبحـون أى لقد حذرتكم من هذا وأن عليكم تقوى الله وشكره؟

الندم

بدأت عـلامات الحسـرة والندم تظهـر عليهم بعـدما عـرفوا بحجم الكارثة والمعصية فراحوا يستغفرون الله لعله يتوب عليهم وراح يلوم بعـضهم البعض ويتعاتبون على هذا العمل السيئ الذى كان من نتائجه ضياع البساتين وغضب الله عليهم لذا قالوا: ياويلنا إنا كنا ظالمين أى أنهم عـاصـين بمنع حق المسـاكين وعدم ذكر الله لهـذا كان الجـزاء من جنس العـمل فمن يعمل الخـيـر يراه ولو بعد حين ومن يفعل الشر يراه مهما مـرت وتوالت السنين إنها سنة الله وحكمه العادل العظيم أن العمل السيئ دائما يحيط بأهله وها هم قد منعوا التصدق ولم يحفظوا وصية ابوهم ونسوا فضل الرحمن عليـهم أن بارك فى البسـاتين ولم ينقص من ثمـارهـا أى شئ وفى ذلك عبرة لمن يعتبر!

التوبة والرجوع إلى الله

مـرت لحظات عصيبه عليهم بعدهـا عادوا إلى منزلهم وقد قـرروا أن يتـوبوا إلى الله عـسى الله أن يبـدل لهم خـيـرا منهـا فتعاهدوا وقالوا: إن أبدلنا الله خيرا منها فسوف نفعل كما كان يفعل ابونا من فعل الخيرات ومساعده الفقراء والمحتاجين.

وراحوا يدعون الله ويتضرعون إليه بكل الصدق والإحساس بالذنب فاعطاهم الله من ليلتهم ماهو خير من البساتين وبارك فى الثمار ودلهم على الهدى وفعل الخير لأنهم اخلصوا فى طاعة الله وعرف الله منهم صدقهم فأبدلهم بجنة يقال لها الحيوان وهى من أعظم العطايا التى ينعم الله بها على الإنسان.

القصة كما رواها القرآن

قال تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

(سورة القلم الآيات: ١٧ ـ ٣٣)

أصحاب الفيل

لقد تكلم القرآن الكريم عن أصحاب الفيل ووضح أن الله قد عاقبهم أشد عقاب وذلك حينما جعل طيرا صغير الحجم يهزمهم ببعض الحصوات، التى كانت من نار جهنم وها هى قد قضت عليهم وجعلتهم موتا وفر معظمهم خائفين ومذعورين. أنها حكمة الله القادر الذى قد خلق الرحمة والمغفرة ولم يخلق إلا الحق والصدق ولكن بعض النفوس الضعيفة الإيمان، لاتراقب الله ولا تنظر بعين الصواب أنهم يحبون الدنيا الزائله ولاينظرون إلى الآخرة الباقية التى فيها جنة الرضوان فيها مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولقد ظهر الظلم والبغضاء حينما أحتل الأحباش اليمن.

الملك الظالم

بدأت دولة «الحميرين» فى طريقها للإنهيار وفقد استقلالها حينما دخل جيش الأحباش أراضيها وبهذا أصبحت «اليمن» تحت سيطرة الأحباش ولكن لم تتقطع صلة القرابة بين اليمن وبين أصولها العربية فى شبه الجزيرة فهم ينتسبون إلى قحطان الجد الأكبر للعرب العارية.

ومرت شهور وقرر ملك الأحباش تعيين ابرهة الأشرم واليا على بلاد اليمن وكان معروفا عنه قسوة القلب وسوء الخلق والشدة فى معاملة الرعيه فلم يرحم الضعفاء ولم يكن عابدا صالحاً رغم أنه كان مسيحيا وكانت المسيحيه مازالت بها القليل من الصواب. ولقد وصف المؤرخون أبرهة أنه كان ذا، شعر مجعد وضخم الجسم وكبير الرأس وكانت شفاه قد شقت لذا سمى باسم الأشرم.

الغرور يملأ قلبه

رغم احتلال الأحباش لبلاد اليمن وسقوط الحميرين إلا أن اليمنيين لم يقطعوا روابط الصلة بينهم وبين بيت الله الحرام فقد كانوا دائماً مشتاقين إلى زيارة مكة فهى أم القرى وهى علامة الوصل بين شبه الجزيرة وبين اليمن وكانت الزيارة دائما تكون فى الصيف أو فى الشتاء بغرض التجارة ثم الحج أو زيارة البيت العتيق.

ولقد كانوا يتحملون عناء السفر الطويل بكثير من الصبر والشوق إلى أعظم بقاع الأرض «مكة المكرمة» ورغم قسوة جند الأحباش والحصار الكبير الذى فرضه أبرهه على أهل اليمن إلا أنهم كانوا لايبالون بأية عاقبة المهم أنهم يذهبون إلى مكة ويزورون أهاليهم وعشيرتهم من العرب، الموجودين فى شبه الجزيرة العربية ثم التجارة فالعودة إلى اليمن.

بناء الكنيسة

أحس أبرهة بعدم ولاء أهل اليمن له وكان رغم بعده عن النصرانية، متعصبا لها وكارها أى معتقد غيرها.

وفى يوم جمع أبرهة أهل المشورة فى حكمه وقال لهم: لماذا يرحل أهل اليمن الى مكه وأى بيت هذا الذى يحجون إليه؟

فابتسم أحد حراسه ثم قال: أيها الملك المعظم أنه مجرد بناء متواضع، جدا جدا وليس فيه من الزخارف أو الإبداع شىء فلقد بناه إبراهيم وإسماعيل منذ فترة كبيرة من الزمن!

لحظتها صاح أبرهة للحارس: أيها الحارس أحضر لى جميع

المهندسين وبعض الجنود وبعض العاملين وعلى الفور ذهب الحارس وراح يجمع العمال والمهندسين وبعض العسكر وبدأت عملية بناء أكبر كنيسه فى ذلك الوقت.

بداية النهاية

حشد أبرهة أمهر المهندسين والبنائين وراح يصرف لهم جميع الأموال اللازمة لبناء الكنيسة وكان يقضى معظم وقته مع العمال حتى صارت بعد عدة شهور تحفة فنية جميلة ورائعة المنظر.

وراح أبرهة يصدر أوامره بعدم ذهاب أهل اليمن إلى الكعبة وذلك لانه قد بنى لهم الكنيسة بدلاً من بيت الله الحرام ولكن هذه المحاولة لم تنجح فرغم أن معظم أهل اليمن كانوا قد ضلوا الصواب وأصبحوا ممن يعبدون الاصنام الا أنهم كانوا يحبون الكعبه ويقدسونها أجل تقديس فهى أم القرى وبضواحيها يوجد بعض أهلهم لذا ظل أهل اليمن على اتصالهم بمكه حاملين أجمل الهدايا والحب يغمر قلوبهم.

وأحس أبرهه بالفشل الكبير واغتاظ كل الغيظ لأنه لم ينجح فى جعل أهل اليمن يدخلون تلك الكنيسة وينسوا الكعبة المشرفة وكان إصرار أهل اليمن ومواصلة رحلاتهم إلى بيت الله من الأسباب التى جعلت أبرهة الأشرم يفكر فى هدم بيت الله.

وعلى الفور راح أبرهة يخبر ملك الحبشة بخطتة فى هدم الكعبة وراح يظهر له المكاسب الكبيرة التى سيؤتى بها من وراء هدم بيت العرب ووافق ملك الحبشة أبرهة وراح يمده بالأموال وبالجنود الكثيرة من أجل تحقيق ماكان يحلم به أبرهة وبدأت بداية النهاية

للظلم وللكفر وللطغيان فمن ذا الذى يستطيع أن يقف أمام الله أمام الحق كلا ثم كلا.

الجيش الكبير

أخذ أبرهة الكارت الأحمر من ملك الأحباش وذلك لتجهيز الجيش ثم السفر لهدم بيت الله وراح أبرهة يحشد الآلاف من أمهر الرماة ومن الفرسان الأقوياء ومن العبيد ثم أمر باحضار فيلا ضخما لكى يكون فى مقدمة الجيش وذلك لكى يهدم الكعبة بنفسه فى محاولة منه إلى إذلال العرب وجرح كرامتهم وبالفعل أتوا له بهذا الفيل الكبير الذى ليس له مثيلا فى الأرض وبعدها طلب أبرهة من أحد العمال أن يضع له هودجاً يوضع فوق ظهر الفيل ويكون مصفحا حتى يحمى أبرهة من أية سهام أو ضربة سيف كما طلب منه ايضا أن يغطى رأس الفيل باجود أنواع الجلود القوية حتى لايصاب الفيل بأى أذى، وبذلك اكتمل جيش أبرهة الظالم جيش الضلال وخرج أبرهة من عاصمة ملكه وجميع الناس يهتفون بحياته بينما الرايات ترفرف والطبول تقرع وهم لايعرفون أنهم فى طريقهم إلى النهاية إلى الموت المحقق.

حرب غير متكافئه

ذهب أبرهة فى طريقه لحرب الله وراحت جنوده تعبر الأنهار وتقطع الجبال وتثير الغبار وراءهم بفضل سنابك الخيل القوية.

وكان أبرهة يبتسم كلما المسافة دنت من مكة ويضحك ضحكات عالية فهو غاص فى دروعه ناسيا الله وعلى يمينه أقوى

الفرسان وعلى شماله أشد الرماة وهم يحملون الأعلام المرسومة بالألوان الزاهية وكان منظر الجيش الكثيف مخيفا لمن يراه.

وأنتشر خبر وصول جيش أبرهة إلى بعض القبائل من عرب «عسير» وعرب «تهامة» وقرروا لأول مرة أن يجتمعوا من أجل صد هذا العدوان والدفاع عن البيت الحرام وحماية الكعبة من الدمار الشامل فلقد كان جيش أبرهة من أقوى الجيوش فى ذلك الوقت.

وأجتمعت الجيوش العربية الصغيرة الحجم والعدد والقليلة العتاد وبدأت بعض المعارك الصغيره والمناوشات ولكنها كانت مجرد مغامرات فاشله فلقد انتصر جيش أبرهه المنظم والكبير العدد على جميع الجيوش العربية وأصبح الطريق سهلا وبسيطًا إلى مكة فهذا الجيش الظالم يمضى ويهدم السدود والقلاع ويكسر الحواجز ماعاد أى شئ يستطيع الصمود أمامه وحانت ساعة النهاية نهاية الكفر والحقد الأعمى نهاية العدوان الغاشم على أعظم شئ فى الأرض.

بالقرب من مكه

أقتربت جحافل جيش أبرهة من أرض مكة الحبيبة فما هى إلا بضعه كيلوا مترات ويصل جيش الضلال لهدم الحق ولكن أنى لها هذا والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون.

عندما تأكد أبرهة من ان المعركة القادمة ماهى إلا نزهة ورحلة لذا أمر الجيش بالتوقف عن المسير وراح يتفقد الجنود والفرسان ويفتش عن السلاح والمعدات الحربية وبينما هو هكذا كان «عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف» قد أشار على قريش أن

يسكنوا الشعاب من الجبال وذلك لكى لايصيبهم ما أصاب أهل «تهامة وعسير» واستجابت قريش لنصيحة قائدها وشيخها «عبدالمطلب» فالحرب خاسرة لا محالة فلا مجال للحمق وبالدخول فى حرب لافائده منها ولاينبغى غير البعد عن المكان وعدم التصدى لهذا الجيش هكذا امتثلت قريش لرأى عبدالمطلب جد محمد النبى الأمى.

للبيت رب يحميه

وفى الصباح بدأ جيش أبرهة يدخل مكة وراحت فرسان الجيش تجوب قرى وضواحى مكه وتسرق الناس وتتحرش بهم وذهب بعض رجال الجيش إلى مراعى قريش وراحوا يسرقون الماشية والأغنام وكان فيما سلبوه من ماشية بعض أغنام «عبدالمطلب» فلما علم ذهب سريعا إلى مكان أبرهة وذلك بفضل مساعدة صديق له كان من أحد القبائل المواليه لأبرهة.

ووصل عبدالمطلب إلى «خيمة أبرهة» ثم دخل صديقه وأخبر أبرهة أن زعيم قريش يريد التحدث معه ووافق أبرهة ودخل عبدالمطلب وكان ذى لحية، بيضاء وقامة عالية ومهابة لذا ارتجف أبرهة عندما نظر اليه وراح يتعامل معه مثلما يتعامل مع الملوك والقواد.

وبمنتهى القوة والصراحة قال عبدالمطلب له: أن جنودك قد سرقوا ماشيتى واريدك أن تردها إلىَّ؟ فدهش أبرهة من كلمات عبدالمطلب وقال له: ظننتك جئتنى لكى تتكلم فى أمر غزو مكة والتعدى على قلعة العرب وقدس الأقداس كعبتكم؟ فإذا بك تتكلم فى أمر يخصك وحدك فلقد خاب ظنى فيك فعندما دخلت علىَّ

وقع فى نفسى منك الكثير من الهيبة

فنظر عبدالمطلب ولم ينفعل أو يحاول الرد على غلطة أبرهة بل قال له فى ثقة أريد الأبل ياسيدى فقط فأنا ربها وصاحبها ومسئولا عنها ولقد جئت لهذا السبب وأما مكة والبيت الحرام فللبيت رب يحميه ثم إنصرف عبدالمطلب وترك أبرهة يغوص وسط الدهشه.

الطير الأبابيل

إزداد أبرهة غيظا وراح يعبئ الجيش استعدادا للهجوم وبعد ساعات أمر بعض جنوده أن يجعلوا الفيل الكبير يوجه نحو مكة تمهيدا لهدم الكعبة وبهذا تنتهى سيرة العرب ويذل بيتهم الحرام.

وراح الجنود يدفعون بالفيل المسكين ويوجهونه ناحية مكة ورغم الضرب الكثير المتلاحق عليه إلا أن الفيل لم يتحرك وكلما عادوا به إلى الوراء بعيداً عن الكعبة مشى وتحرك وفجأه ظهر الحق واذا بالقاذفات الربانيه تحملها أرق المخلوقات إلا وهى الطيور التى راحت تقتل الجنود فهذا قد قطع قدمه وهذا مات على الفور وماهى إلا لحظات وبدأت الطيور تحمل فى مناقيرها «النار» ثم ترمى بها فى وسط الجيش.

جزاء الظالمين

وازداد الأمر سوءا بينما كان أبرهة يحاول الهرب والفرار عندما رأى معظم قواته وجيشه القوى المنظم بين الموت والحرق وكأنهم العصف المأكول فلقد انتشرت جثثهم بين بيوت مكه لذا راح أبرهه يطلب النجاة والخلاص من هذه الواقعة الدهماء وبالفعل

هرب أبرهة من ساحة المعركة هرب بعدما دافع الله عن بيته بأبسط الأشياء الا وهى الطيور التى حملت الموت الزءوم بين مناقيرها لكى تكون هذه الحادثة شاهدة على إنتصار الحق على قوة الشر والظلم مهما كان حجمه أنها سنة الله التى استنها فى الأرض وبين خلقه ولكن آكثر الناس لا يفكرون ولايعتبرون بما قد ألم بالأوائل من البشر وكيف عذبهم الله لانهم احبوا الدنيا على الآخرة وارادوا ظلم الناس والفساد فى الأرض لذا عاقبهم الله فى الدنيا وسينالون أشد العقاب يوم القيامة.

القصه كما رواها القرآن

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾

(سورة الفيل)

قميص الأنبياء
كما ورد فى القرآن

١ ـ سورة الأنبياء

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ﴾

(الأنبياء من ٦٨ ـ ٧٠)

٢ ـ سورة يوسف

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢) اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

(يوسف من ٩١ ـ ٩٣)

٣ ـ سوره يوسف

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَن تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾

(يوسف من ٩٤ ـ ٩٦)

٤ ـ سورة يوسف

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾

(يوسف من ١٦ ـ ١٨)

يوسف الطفل البار بأبويه

لقد وهب الله سيدنا يوسف الأخلاق الحميدة منذ أن كان طفلاً وذلك من فضل الله عليه ولقد كان عند أبيه سيدنا «يعقوب الطفل المحبب والقريب إلى قلبه بما آتاه الله من الإيمان الصادق والرحمة والعطف والبر بالوالدين وتلك الأشياء جعلت يعقوب يحبه حباً عظيماً ويعامله معاملة خاصة يغمرها العطف والحنان وقد لاحظ وأحس جميع أخوته هذا العطف فأصبحوا يحقدون عليه وذلك لانهم كانوا كعصبة وكتله واحدة وكان يوسف من أم آخرى ولم يكن له من الأخوه غير شقيقه الوحيد «بنيامين» فلقد كانا من أم واحدة وهى «راحيل».

وكلما أحتضن سيدنا يعقوب أبنه يوسف وراح يهتم به أشتعل الحقد فى قلب إخوته وراحوا يرسمون الأكاذيب والظنون حول والدهم سيدنا يعقوب وهو النبى الذى تعلم من ربه كيف يكون العدل وكيف تكون الرحمة والمحبة.

المنام العجيب

وبدأت معركة الكره بين إخوة يوسف وبين يوسف الذى يحبهم ويتعامل معهم معاملة الأخوة ولكنهم كانوا يكتمون فى صدورهم البغض والكراهية رغم أن افواههم تبتسم والله يعلم مافى الصدور.

وكعادته بعدما قام بعمل ما أمره به أبوه ذهب الطفل «يوسف» إلى فراشه ثم ذكر الله قبل أن ينام وراح يسبحه تسبيحا وبدأت علامات النوم تدخل إلى عينيه وبعد ثوانى ظهر فى منامه الحلم العجيب والمنام الغريب فلقد رأى أحد عشر كوكبا يسجدون له ورأى الشمس والقمر أيضا يسجدان له وينزلان من السماء ويستقران بين يديه ومرت الليلة بسلام الله وفى الصباح ذهب يوسف متوجهاً إلى حضن أبيه يعقوب الذى كان مبتسما حينما رآه ثم قال له يوسف يا أبى لقد رأيت كذا وكذا وراح يحكى له ما رأى فضم يعقوب ابنه يوسف إلى صدره وراح يهدىء من قلقه ثم قال له: يابنى لاتحكى ما رأيت على إخوتك فيحقدون عليك أشد حقد فإن الشيطان كان للإنسان عدوا وهو يحب أن يفرق بين الأخوة ولتعلم يابنى أن الله سوف يجتبيك ويعلمك من فهم وتأويل الأحاديث وسوف يعطيك ويتم فضله عليك وعلى جميع آل يعقوب كما أتم فضله ورضوانه على أجدادك من قبل وهم إبراهيم وإسحاق ولتعلم يابنى إن ربك عليم وحكيم وهو يختار من الناس الرسل ومن الملائكه فكن دائماً مع الله واحذر غرور وغدر الشيطان اللعين: فابتسم يوسف وغاص فى حضن أبيه وراحت عنه علامات القلق وأطمأن قلبه.

قميص الأنبياء

مرت أيام بعدها خاف يعقوب على يوسف فناداه ودخل به فى أحدى الغرف فتح أحد الصناديق واستخرج منه قميصا أخضر اللون وناعم الملمس ثم قال ليوسف: عليك ياولدى بارتدائه بحيث يكون ملامسا لجلدك وعليك يابنى أن لا تخلعه مهما كان من الأمر.

فتعجب يوسف من هذا القميص فسأل أبوه قائلا: ماسر هذا القميص؟

فقال يعقوب له: أنه قميص الأنبياء فلقد إرتداه أبيك إبراهيم حينما أراد الكافرون حرقه بالنار فعطل الله عملية الإحراق فى النار وجعلها بردا وسلاما وخرج أبيك إبراهيم من النار ليس بجسده أى ضرر فعليك يابنى بالمحافظة عليه لانه أغلى شئ عندى وقد أهديته لك لانك تستحقه فهو آية من آيات الله وفضل ورحمة من عنده عز وجل.

فابتسم يوسف وقال لابيه: أطمئن ولاتخف فسوف أحافظ على هذا القميص.

حقد اخوته

ازدادت نار الغيرة والكراهية فى قلوب إخوة يوسف وأصبحوا يفكرون فى القضاء عليه حتى ينالون من أبيهم يعقوب الرعاية الكاملة وبذلك لا يكن بينهم وبين قلب أبيهم هذا السد المنيع والمسمى بيوسف وراحوا يفكرون فى حيلة تخلصهم من يوسف وبدأ الشيطان اللعين يرسم لهم طريق الكذب والبهتان وفى يوم طلبوا من

أبيهم أن يسمح لهم بأخذ يوسف لكى يتنزه معهم فى رحلتهم وهم يخفون فى صدورهم جذور الشر وأحس يعقوب بهم لكنه لم يمنعهم بل أعطى لهم يوسف على أن يحافظوا عليه لانه الصغير فيهم فطمئنوا أبيهم وأخذوه إلى النزهه وبينما هم فى الطريق قال واحد منهم عليك بالقضاء على يوسف بالقتل أو اطرحوه ارضا لكى نختص بحضن ابينا فقال آخر لهم لاتقتلوا يوسفُ ولكن ألقوا به فى غياهب الجبُ فلعل أحدا من المسافرين يأخذه ونسلم نحن من قتله وبالفعل ألقوا به وانقذه رجل وباع يوسف لأحد كبار الحكم فى مصر، الفرعونية الذى رعاه وحن عليه ثم بدأت مكيدة زوجته ليوسف ودخل السجن ومكث فيه عدة سنوات ثم عاد إلى الحرية وأصبح من كبار رجال الحكم فى مصر وأصبح له شأن وهيبة مثله مثل فرعون مصر وبذلك تحقق جزء من حلم يوسف وسوف يتحقق باقى الحلم حينما يأتى إخوته إلى مصر ويطلبون من حاكم مصر الطعام والمساعدة.

يوسف الحاكم الوزير

مرت السنوات سريعة وأصبح يوسف ﷺ صاحب مكانة عند فرعون مصر فلقد ولاه الملك على خزائن البلاد لكى يضبط أمور المال، بما عنده من حسن التصرف وحكمة فى حل المشاكل بالطريقة المثلى.

وفى يوم سافر إخوة يوسف إلى مصر يطلبون الطعام فلقد كانت بلادهم تمر بحالة من الجدب والفقر لذا قصدوا مصر فهى البلد الامن.

وبعدما وصلوا إخوة يوسف إلى مصر دخلوا عليه فعرفهم وهم لم يعرفونه ثم راح يصنع لهم مكيدة حميدة ليس بها من الضرر أو الظلم ولكن وسيلة إلى الرحمة وطريق إلى معرفة الخطأ وإيقاظ ضميرهم الغائب.

وبعد أن أخذوا الطعام وعادوا إلى بلادهم ثم رجعوا إلى مصر ثانية راح يوسف يعرفهم بنفسه بعدما أحسوا أن فى الأمر شيء ثم قال أخوة يوسف له: لقد نصرك الله علينا وحكوا له ماجرى لأبيه يعقوب بعد رحيله وكيف أصبح أعمى.

رسالة من الحبيب

أحس يوسف ان الدور قد عاد إلى القميص لكى يصنع شيئا جديدا لذا قال لإخوته ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾.

وبالفعل سافر أخوة يوسف وحملوا القميص معهم إلى بلادهم من أجل ان يرجع بصر يعقوب الذى أصبح مثل الأعمى بسبب الحزن الشديد على فراق يوسف وقبل أن يصل الخبر إلى يعقوب أحس يعقوب وهو النبى، بشئ سيأتى من عند يوسف وبدأ وجهه يبتسم ولكن من فى البيت قال له: إنك مازلت تفكر فى الوهم القديم وهذا الوهم الذى جعلك تفقد بصرك.

ومرت أيام ودخل البشير من أخوة يوسف والقى القميص على وجه يعقوب فعاد بصيرا وراح يبكى ويشكر الله ويسبحه تسبيحا كثيرا لانه قد جمع بينه وبين يوسف.

العائلة السعيدة

عرف إخوة يوسف خطأهم وزال عنهم ريح الغيره والكراهية وبدأت العائلة تجتمع من جديد فقد وصاهم يوسف أن يأتوا بجميع أهلهم إلى مصر.

وبالفعل سافر الجميع إلى مصر يغمرهم الحب والشوق إلى يوسف ومرت أيام ووصلوا إلى قصر يوسف وراح يستقبلهم أحسن استقبال وبكى الجميع بعدما اجتمع شمل العائلة وعاد التائه والغريب إلى حضن أبيه واصبح جميع الأخوة منذ هذا اللقاء فى وئام يجمعهم الحب والرحمة تملأ قلوبهم فلا شىء ينفع إلا العمل الصالح وزرع الخير ومن يتق الله يجعل له مخرجا.

اليهود يحبون السحر

لقد أعطى الله اليهود كل مقومات الخير والرزق الوفير ولقد فضلهم الله على بعض الأمم وأنزل فيهم التوراة وجعل جزءا كبيرا من الرسل تأتى إلى بنى إسرائيل وهذا تكريم من الله عز وجل ورحمة من عنده.

ولكن اليهود قوم لايحبون النور ولا يصونون العهد مع من؟ مع الله الذى اعطى لهم المن والسلوى ونجاهم من يد فرعون القاسى الظالم ورغم كل هذا لم يعبدوا الله حق عبادته وراح كثير منهم يعبد الشيطان يستمع إلى كلماته اللعينه لذا كثر السحر بينهم رغم أن السحر من المحرمات لانه يدل على عدم الرضى بقضاء الله ويدل على عدم الثقه بالله وفى هذا كفر وبهتان.

تسخير الجن

لم يستفد اليهود من تجربة سيدنا سليمان مع الجن اذ أنهم اخذوا الباطل من هذه التجربه فلقد سخر الله الجن لسليمان لانه يعرف حدود الله ويفعل الخير لمساعدة من يحتاج المساعده ولكن اليهود كعادتهم لايهمهم سوى الظاهر من الحديث ولاينظرون إلى الآخرة ولايعرفون الله حق المعرفة.

لذا اعتقد الكثير من اليهود أنه يوجد فائدة فى تسخير الجن رغم أن من يسأل الله يعطيه مايطلب وأن من يطلب الأمر من غير الله فقد كفر وهذا ما فعله اليهود اذ ذهبوا إلى طريق الكفر وراحو

يتلمسون الرحمة والعفو من غير الله وراحوا يطلبون الدنيا ويستعينون بالشياطين الكافرة بدلاً من الله بل ويستخدمون بعضا منه فى الإضرار بالناس وذلك حبا فى المال وفى الرفعه الزائله فلقد اعمتهم الشياطين عن ذكر الله وراحوا يدرسون السحر وتسخير الجن وجعلوا لهم مدرسة فى هذا الشأن وكانت فى عاصمتهم «أورشليم» وأصبح فن السحر هو الأمثل والطريق الذى سلكه معظم اليهود بغرض المال والدنيا.

اليهود والجن

كان جزءا كبيراً من اليهود ضعفاء النفس ولم يحاربوا انفسهم وذلك لبعدهم عن الحق لذا كانت بعض شياطين الجن المقرنون فى الأصفاد، يهمسون إلى الضعفاء من اليهود وذلك عن طريق ألسنتهم الطويلة.

وكان هؤلاء اليهود يستمعون لهم بمنتهى اليقظه وينفذون ماتقول لهم شياطين الجن الفاسقين الذين كانوا يوسوسون لليهود أن ملك سليمان قد جاء بالسحر فكبر الوهم فى قلوبهم واعتقدوا ذلك وهم فى هذا الإعتقاد مخطئون لان الله قد وهب لسليمان النبوه والملك وسخر له الجن من أجل الخير والقضاء على بعض بذور الشر والطغيان وكان ذلك فضلا من الله على سيدنا سليمان الذى كان يستخدمهم فى الحق فقط.

بختنصر يشرد اليهود

كان بختنصر الفارسى يعرف كل دسائس اليهود وكان ملكه

يمتد من بابل فى بلاد العراق وحتى حدود الخليج العربى وفى يوم قرر الملك بختنصر أن يحتل فلسطين فنجح فى هذا وهى فى ذلك الوقت كانت تحت حكم اليهود.

وراح الملك الفارسى يشرد اليهود اعظم تشريد ويأسرهم أسرا فظيعا ويقتل النساء حتى قيل أنه قتل أكثر من تسعين الف من الأطفال ولقد أحضر الملك الفارسى بعض اليهود فى بابل وكان معظم سكانها يعبدون الكواكب والنجوم ونجح اليهود فى تعلم السحر وراحوا يستخدمونه اسوأ استخدام لهذا بعث الله ملكين من عنده وهما «هاروت وماروت» ولقد أنزل على هذين الملكين بعض الأشياء التى تغرى الإنسان وتجعله يقتنع بما يراه منهما وراح هذان الملكان ينشران فى الناس أن الشياطين ماهم إلا كفار وأن سحرهم لهو الضلال بعينه وكان هذان الملكان يقولان للناس إننا لسنا إلا فتنه وابتلاء وماهذا السحر الذى نعلمه لكم هو الا. لكى يفرق الله بين الطيب والخبيث وبين الصالح والكافر ولكن معظم اليهود لم يتعظوا بما أصابهم من الشر.

حب اليهود للكفر

وظل هذان الملكان يمشيان فى الأسواق وبين القرى لكى يعلمان الناس أن جميع اعمال السحر باطلة وكافرة ولكن للأسف الشديد لم تهتم اليهود بهذا بل راحوا يتعلمون من هذين الملكين الأشياء الضارة وليست النافعة وآبقوا على علاقاتهم بالشياطين الكافرة وراحوا ينهلون ماينفعهم من هذا العمل الرخيص وظلوا على هذا النحو مدة كبيرة من القرون لذا بقى لليهود ميراث كثير من

اعمال الشر والفتن والكذب على الله فهم أهل الشر رغم أن الله قد خصهم بالنعم الكثيرة وبالأنبياء والرسل ولكن أكثرهم لم يهتموا بكلمات المرسلين بل سمعوا ما تتلوا الشياطين من الكذب والوهم والإفتراء على اللهوعلى الرسل البرره.

القصه كما رواها القرآن

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ (٩٩) أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

(سورة البقرة الآيات: ٩٩ ـ ١٠٣)

الطماع صاحب الجنتين

الفقير والغنى

لقد رزق الله رجلين أرضا مقسمة بينهما فالأول كان فقيرا ليس لديه المال الكافى وليس عنده من الأولاد إلا القليل وكان بيته قديما جدرانه متهالكه إلا أن الله قد جعل فى قلبه الإيمان والقناعة والبشاشة التى تظهر دائماً على قسمات وجهه وكان يحمد الله على الضراء قبل السراء فهو موحد لله مسلماً حقا ويعرف أن محمدا آخر الأنبياء وكان يمشى على هديه المبين وأما الرجل الثانى فهو له أرضا مثل الرجل الفقير ولكن الله قد رزقه المال الوفير والأولاد الكثير وبارك فى بساتينه ورغم هذا كله كان الرجل الغنى على ضلالة الجاهليه ولم يدخل الإسلام قلبه بل كان يعبد الأصنام.

عدم التواضع

فى يوم من ذات الأيام التقى الرجل الغنى بالرجل الفقير عند مرجل الحقل وكانت علامات الغنى الكبيره تظهر على شكل وهيئه الرجل الغنى فهو يمتطى فرسه فى كبرياء وزهو والرجل الفقير ماشيا على أقدامه ويظهر جزءا من جسده من خلال ملابسه الرثه، فراح الرجل الغنى يقول له: أن عندى من العبيد والخدم الكثير وأنت أيها المسلم مازلت فقيرا ألا يرزقك ربك الذى تحدثنى عنه واين رسولك لماذا لايدعو لك. ثم قال له: انظر إلى هذه البساتين أن بها من الثمار والزرع الكثير ولسوف يجنيه أولادى ونكسب الكثير من المال حينما نبيعه (أنا أكثر منك مالا) وأعلم أنك تحقد علىَّ فلقد عميت عينيك بسبب غنايا فلا ترى إلا الحقد على

الأغنياء وأنت لم تضاعف عملك وجهدك ولم تهتم بزرعك لذا ستظل فقيرا كما أنت وسأظل أنا من أغنى أغنياء عمومتنا.

حب المال

ظل الرجل الغنى يحلم بالمال وبالمحاصيل وراح يفكر فى كيفية تسويق زرعه وكيف سيربح الدنانير الكثيره وانه سيشترى أرضا ويبنى بها دارا فخمة عالية البنيان. بها من الحجرات الكثير ولسوف يشترى من العبيد الألف حتى يصبح عنده المئات من الفلاحين وعمال الزراعة.

هكذا كان الرجل يفكر لم يذكر الله ولم يقدم المشيئة ولم يعرف أن كل شئ فى هذه الدنيا زائل فالإنسان كائن متغير لايبقى على الحال فاليوم الغنى عنده المال وفى الصباح من الجائز أن يصبح فقيرا هكذا حال الدنيا وحال الإنسان فهو غير ثابت وغير مخلد فلم الطمع وحب المال.

الكفر بالله

دخل الرجل الغنى بستانه ونظر نظرة غرور على الزرع اليانع والمتدلى الثمار فازداد فى الغرور ونسى أن الله هو العاطى والرازق فقال فى كبرياء لا أعتقد أن تبيد هذه الحقول ولا أظن أن القيامة سوف تقوم كما تتكلم أنت أيها الحاقد الفقير ولنفرض أن الساعة قد جاءت فان ربى سوف يعطينى أكثر فى الآخرة لاننى أستحق هذا منه بما عندى من المال والأولاد والذكاء فقال الرجل الفقير له: يا أخى أتق الله ولاتنسى أنك قد خلقت من طين ثم من ماء مهين وقد خلقك الله الذى خلق كل شىء فى الأرض وفى السماء، وخلق فيها من كل زوج بهيج فلا تفكر به ولاتغتر بنفسك فأنت زائل وأيضا

الدنيا زائلة وسيبقى وجه الله الوارث والحى الذى لايموت ولقد آمنت بالله الواحد الأحد والفرد الصمد ولن أكن مثلك كافرا ولن تغرينى الدنيا أبداً.

عدم سماع النصيحة

ابتسم الرجل الغنى إبتسامة فيها الكثير من السخرية والكبرياء معا ثم قرر أن يعود إلى بيته وإلى العبيد وإلى الماشية الكثيرة ولان الرجل الفقير قال له: قبل أن تمشى إليك هذه النصحية؟ فهز الرجل الغنى رأسه وقال له: لقد مللت حديثك فاتركنى وشأنى فانت حاقد علىَّ وعلى أولادى فقال الرجل الفقير: يا أخى أن حسن ادب العبد أن يشكر الله على نعمه الكثيرة وأن يقول ماشاء الله قبل أن يفعل أى شئ فان كل شىء يحدث بأمر الله ويمشيئته وليس لنا فى الأمر من شىء غير ذكر الله والدعاء إليه عز وجل ولتعلم أن الغرور نهايته قاسية فلا تفرح بكثرة الأولاد والمال لان الذى رزقك لقادر على أن يعطينى اكثر مما أعطاك أو يرسل على هذه البساتين صواعق ورياح فينتهى أمرها فاذكر الله ولاتكن جاحداً.

جزاء الله له

وذهب الرجل الغنى إلى بيته ونام وفى اليوم التالى ذهب إلى بساتينه ودخلها وهو كافر وظالم لنفسه وفجأه تغير لون السماء واصبحت السحب سوداء اللون واذا بعاصفة قوية بها من الرياح العاتية تأتى وينزل المطر الكثيف ثم بدأت الرياح تشتد فخلعت جميع الأشجار العالية وجعلتها مجرد خشب غارق فى الماء ولم يعد للزرع من شكل بل أصبح اسود يشبه طين الأرض وراح الرجل

يجرى وقد جن جنونه ويبكى ويندم ولكن لن ينفعه الندم بعدما كفر بالله ونسى فضل الله عليه فكان هذا جزاؤه.

القصة كما أوردها القرآن

قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾

(سورة الكهف الآيات: ٣٢ ـ ٤٤)

بقرة بنو إسرائيل

الرجل البخيل

كان فى زمان بعثة سيدنا موسى اخوان الكبير غنى جداً والصغير فقير جدا وكان للرجل الصغير أولاد كثيرون قد أذلهم الفقر والمرض لذا راحوا يتوددون إلى عمهم الغنى لكى يساعدهم علىٰ الحياة الكريمة ويجود عليهم ببعضا من عنده ولكن هذا الشيخ كان بخيلا جداً جداً فبرغم الثروة الكبيرة التى وهبها الله له لا يأكل إلا الاكل البسيط ولايلبس إلا أحقر الملابس وارخصها فى السعر وظل اعزبا لم يتزوج ولم يكن عنده أى ولد ينفعه أو يساعده فى أيام شيخوخته وكان لايود أهله ولاينفعهم فى أى شىء ولايلبى لهم لو حاجه بسيطة.

لذلك كرهوه وراحوا يتمنون موته فى أقرب وقت لكى يتمتعوا بالمال والثروة، الكثيرة والكبيرة وبهذا ينتهى الفقر ويبتعد المرض عنهم ويعيشون مثلهم مثل الناس الأغنياء وكبار القوم.

وظل الرجل يتمتع بالحياة ويدّخر المال ولاينفقه لذا قرر أحد أبناء أخيه قتله وبالفعل دخل بيت عمه وضربه حتى صار جثة هامدة ثم خرج ورجع إلى بيته ونام وفى الصباح راح يبكى على عمّه ويبحث عن القاتل رغم أنه هو القاتل.

من القاتل

تحيرت عقول الناس فى معرفة من الذى قتل الشيخ والقى بجثته فى الطريق، فراحوا يبحثون ويتساءلون لعلهم يتعرفون على

الجانى ولكن دون جدوى ومرت ساعات بعدها قال أحد الرجال: هيا نسأل موسى فهو الرسول ونبى الله وعنده ماليس عندنا من الحق واليقين. وبالفعل ذهبوا إلى سيدنا موسى وحكوا له ماتم من أمر الشيخ المقتول ثم سألوا سيدنا موسى أن يسأل الله لكى يهديه إلى القاتل وبهذا تتضح الأمور الغامضه.

وكان من بين الناس الذين قد ذهبوا إلى سيدنا موسى ابن الأخ القاتل والذى كان يبكى ويلح على سيدنا موسى أن يعرفهم من الذى قتل عمَّه هكذا كان هذا الشاب فاسد القلب والضمير وشريراً يحب الدم ولقد زاده فقر أبيه حقداً على حقده الدفين فأصبح سيئ الخلق لايحترم القرابى ولا يعترف بصلة الرحم.

وبعدما استمع سيدنا موسى جميع حديثهم طمأنهم وقال إن شاء الله فى القريب ستعرفون من الذى قتل الشيخ؟

إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة

مرت فتره من الوقت كان سيدنا موسى قد جاءه الوحى من الله بأن عليهم أن يذبحوا بقرة وحينما أتى إلى سيدنا موسى بعض شيوخ اليهود قال لهم ماجاء به الوحى فاستغربوا من كلمات سيدنا موسى وظنوا أنه يسخر منهم فكيف يطلبون منه معرفة القاتل ويقول لهم أن عليهم أن يذبحوا بقرة وهذا ليس له صله بهذا!؟

فدافع سيدنا موسى عن كلمات الوحى وقال أنه لم يسخر منهم فهم أهله وقومه فكيف يسخر منهم بعدما تحمل العذاب من فرعون وملأه وبعد رحلة العناء المريرة وراح سيدنا موسى يقول لهم إن الله قد جعل فى ذبح البقرة حكمة وأن عليهم أن يصبروا ويتقوا

الله فى دينهم وفى نبيهم ولا يبالغوا فى كثرة السؤال فإنه يضعف الثقة بالله وبالرسول.

عدم تصديق موسى

أن اليهود لا يعرفون الطريق الصحيح بل دائماً يبحثون على الالتفاف وعدم الصدق لذا عاش الشك فى عقولهم والتردد ظل قائما فى أفعالهم فلقد ظلوا على النفاق ولم ينفذوا ما أمرهم به نبيهم موسى ﷺ بل قالوا له: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾

فقال لهم موسى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾

فعادوا فى جدالهم ونفاقهم وقالوا له: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾

فقال لهم سيدنا موسى: ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾

وظلوا هكذا فى حالة من التردد فتره من الوقت ثم راحوا يبحثون عن بقرة ذات المواصفات التى اقرها سيدنا موسى حتى وجدوها عند رجل فأغروه بالمال حتى قبل.

حكمة الله

وفى الميعاد الذى حدده الله تم ذبح البقره وإذا أمر الله عز وجل من السماء أن أن اضربوا جثة المقتول ببعض أجزاء البقرة وراح اليهود يضربون جثة الشيخ المقتول فاذا به يحيا ويقف على

قدميـه والدم ينسـاب من جسـده فخـاف الناس وتراجعـوا الى الخلف فسأل سـيدنا موسى المقتول: من قتلك ياهذا فأشار إلى ابن اخيـه من غير أن يتكلم وبعدها سقط ميتا.

هكذا كـان اليهـود أصحـاب الجدل والنفـاق فى كل العـصور فبـالرغم مما قدمه نبى الله موسى عليه السلام من معجـزات وتضحـيات كثيره لهم إلا أنهم لم يمتثلوا لأمر الله ولم يعظموا الله وهو العظيم وظلوا فى وهمهم وشكهم المريض.

القصه كما رواها القرآن

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

(سورة البقرة الآيات: ٦٧ ـ ٧٣)

لقمان الحكيم

الصبى المفكر

أبنى العزيز لعلك تستفيد من تجربة وحكمة لقمان الحكيم الذى ضرب لنا المثل الأعلى فى التواضع وحب الله ومساعدة من يحتاج المساعدة ولكن تعالى نتعرف عليه.

فلقد أجمع معظم المؤرخين على أنه قد ولد فى قارة أفريقية وكان لون بشرته اسود مثل معظم سكان هذه القارة وشفتاه غليظتان اذا هو فيه نفس الصفات الموجوده فى الرجل الأفريقى من شدة وقدرة وصبر كبير فى التعامل مع الأشياء المحيطة من حيوانات ومن جبال وأنهار لذلك كان الصبى لقمان شديد البنيان قوى الإرادة. ولكن مع تلك الصفات كان يفكر فيما يدور حوله من أشياء تحدث ويظل يراقب هذه الظاهرة فمرة ينظر للطير ومرة أخرى ينظر إلى المطر والسحب ويحاول تفسير تلك الأشياء رغم صغر سنه.

اختيار الحكمة

ظل الصبى لقمان على حالته يقوم فى الصباح يعمل ويجمع الحطب ويصارع الحيوانات المتوحشة ثم يعود إلى كوخه المتواضع الصغير ويفكر فيما حدث له وفى يوم جلس لقمان بالقرب من أحد الأنهار الصغيرة وقد أحس ببعض التعب فلقد ادى عمله بمنتهى الإخلاص لذا دبَّ الإرهاق فى جسده وراح لقمان ينظر حوله نظرات عابره وفجأة بدء النوم يتسلل إلى جفنيه ومرت ثوانى بعدها

راح لقمان فى نوم عميق، وأثناء النوم اتى إليه ملك من عند الله وأخبره أن الله قد إختاره لكى يكون نبيا أو يكون حكيما فاختار لقمان الحكمة وذلك لان أعباء النبوة كثيرة وضخمة وهو يخاف أن يقصر فى ادائها. وبعد فترة زمنية لايعلمها إلا الله استيقظ لقمان من نومه ولقد تغير كل شىء فى عينيه بفضل الله وجلاله ورضوانه.

الوقوع فى الأسر

تغيرت نظرة لقمان بعدما اصطفاه الله وجعله من المقربين وبدأ لقمان، يعمل فى جد ونشاط كعادته. فى يوم حاصره بعض اللصوص وسرقوه ثم بيع فى أسواق الرق وأصبح أسيراً لايملك حق الدفاع عن نفسه فاقداً للحرية والإرادة أو حتى الرفض أو القبول.

ورغم هذه المحنة العظيمة إلا أن لقمان لم ييأس من رحمة الله بل واصل التعبد والتقرب إلى الله ومن هنا ظهرت بعض بوادر الحكمة فرغم السلاسل والقيد ورغم الليل الطويل الكبير رغم شدة الظلام سيأتى الفجر مبتسما ضاحكا بنور الحق وينصر الخير والصواب فى نهاية المحنة أنها حكمة الله العظيم.

ظهور الحكمة عليه

مرت أيام عصيبه على لقمان الحكيم ولكنه صبر على ماهو فيه من هوان وأذى،وراح يتحمل العبوديه بما فيها من ذل وفقد للكرامة وعذاب كبير وذلك بفضل الله ورحمته التى كانت موجودة وباقية فى قلب لقمان لذا لم يعبأ بما حوله بل ظل ينتظر السرور والفرج فى أقرب وقت ممكن.

وكانت البداية حينما أمره سيده مرة بذبح شاه ويأتيه باخبث عضوين منها ثم فى المرة الثانية طلب ان يأتيه بأطيب شئ منها فقام لقمان بذبح شاة وأتى باللسان وبالقلب إلى سيده الذى قد طلب منه أن يأتيه بأخبث عضو فى جسد الشاة بعدها جاء اليه باطيب عضوين فيها فجاءه بالقلب واللسان فرح سيده به وحن عليه فلم جاء فى المدينة بنفس العضوين القلب واللسان تعجب منه سيده وسأله أن يفسر له لماذا فى كل مرة يأتيه بالقلب واللسان؟ فقال لقمان له: لإنهما إذا طابا كانا من أجمل الأعضاء واذا فسدا كانا من أخبثها؟

القاضى العادل

ازداد حب الرجل للقمان الحكيم بعد هذه الواقعه وعلى الفور راح يحرره من قيد العبودية وظلمها وعامله معامله الآخوة وذلك تقديرا لعقله وحكمته وأصبح لقمان حرا طليقا كان يتحرك كيفما يشاء ويرفض ويجيب مثلما يفعل الأحرار من الناس.

وبدأت الناس تسمع عنه وتحكى عن حكمته ورأيه السديد وذاع صيته فى كل ارض وذلك لانه كان يسافر من بلد لآخرى من أجل نشر الحب والسلام والعدل بين الخلائق حتى وصل إلى بنى إسرائيل وعمل قاضيا فيهم وذلك أثناء نبوءة سيدنا داود عليه السلام وراح لقمان يحكم بشرع الله وعدله ولم يفرق فى المعاملة بين غنى وفقير وبين فلاح أو أمير بل أن الكل فى القضاء سواء لافضل لاحد على أحد إلا بالحق وتقوى الله.

ومرت أيام وسنين أصبح لقمان القاضى الشهير بعدها تزوج

لقمان من إمرأة صالحة تعرف حدود الله وحق الزوج وقد رزقه الله بطفل جميل ورائع المنظر فازداد حب لقمان له وراح يرعاه ويحن عليه ويحاول أن يوفر كل الأشياء التى تجعله يعيش حياة كريمة من غير أن يصبح عاطلاً أو كسلانا بل أن لقمان بما عنده من حكمه ظل يحصن هذا الطفل بالأفعال الخيرة الصادقه حتى يجعله يمشى بها ويتعامل بها مع الناس وأن لايظلم أحدا أو يضر أحدا فالحق والحريه أن يعيش الإنسان مع الناس ولا يضرهم ولايظلم واحدا منهم وأن يعرف حدود وتعاليم المولى عز وجل ولدا ظل لقمان يوصى ولده بما يجب أن يكون عليه من اخلاق كريمه.

الوصية

وأول هذه الوصايا التى أوصى بها لقمان ابنه هى ثبات العقيدة وعدم الشرك بالله فإن الشرك هو ظلم عظيم للإنسان وللبلد التى يعيش بها وراح لقمان يحدد لابنه العلاقة الصحيحة بين الأب والأبن وكيف على الولد أن يعامل أبويه أحسن معاملة حتى ولو كانا مشركين فان عليه أن يخدمهما ولا يؤذيهما بل يدعوهما إلى تقوى الله ومحبة الله ولكن اذا ارادا الابوان أن يجعلوه كافرا مثلاً فان عليه أن لايسمع لهما لان الله سيحاسب الناس جميعاً يوم القيامة.

وراح لقمان يوضح لابنه بعض الأمور الأزلية ليجعله قريباً من الله وحده حيث قال له: أن الملك والسلطان والمال والرزق والقوة كلها بيد الرحمن سبحانه ولا يوجد لاحد فى الأرض مهما علا شانه أية سيطرة إلا بفضل الله وقوة الله الواحد القهار لذلك عليه أن يطيع الله ويأمر بالمعروف ويبتعد عن مايغضب الله وبذلك يصبح الإنسان صالحاً ونافعاً للمجتمع.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾

(سورة لقمان الآيات: ١٢ ـ ١٩)

صاحب القلبين

إن النفـاق يعد من أسوء الإخـلاق ولقـد حذرنا الله منه ومن مـغبـة الإسـتـمـرار فـيـه ولقـد عـالج القـرآن الكريم هذه الظاهرة البغيضة فى آيات كثيرة بشكل واضح وبسيط أيضا بشكل فيه من الوعظ والإرشاد الكثير.

ولقـد صـدق المولى عـز وجل أن قـال: أنه لايصح أن يكون الإنسان ذا وجهان أو قلبان «ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه» إنهـا حكمـة الله أن يظل الإنسـان صـاحب قلب واحد أى صـاحب ضمير واحد وروح واحدة وليس أن يصبح منافقاً كاذباً يتعامل مع الناس حسب اهوائهم.

أول الغرور

لقـد شرح الله قلوب الناس للإيمان والإسلام الحنيف وبدأت الناس تدخل فى دين الله افـواجـا وكـان بين الناس رجـلا منافـقـا أسمه «أبو معْمَر» وكان من أقوى رجالات قريش الذين لديهم القدرة على الكلام الصحيح المنمق الذى يجعل من يستمع فى حالة سكون وانصات كبيران فهذا الرجل لديه العقل الحاضر القوى والقول السديد والعبارة المصنوعه المحكمه، فلقد كان حافظا لأخبار الأقدمين من الحكماء والشعراء مما زادت عليه من الكبر والخيلاء والغرور وكان الناس مفتونين به منجذبين إليه فما من مجلس يحضره هذا الرجل إلا وذهب الناس إليه وكأنه قد سحرهم بلسانه وعباراته الرنانة لذلك كان من أشهر رجال قريش فى أيام الجاهلية وحتى عندما بدأ الرسول الكريم ينشر دعوته المباركة الحميدة.

المواجهة

بدأ خير الأنام محمد الأمين ينشر الحق والنور بين الناس ويتلو آيات القرآن عليهم لكى يجعلهم فى طريق النور بعيداً عن الظلم والجاهلية وراح رسول الله ﷺ يحذرهم من عقاب الله وينهاهم عن عبادة الأوثان المصنوعة من فعل الشيطان واتباعه وبدأت قلوب الناس تتعلق بالإيمان بالنبى الكريم ودخل من قريش الكثير من الساده قبل العبيد واعرض ايضا بعض الناس واشتدوا فى ظلم وإيذاء المسلمين وكان «أبو معمر» ممن كان يؤذى المؤمنين والرسول بكلماته الشيطانية الظالمه فهو كان أكثر الحاقدين والناقمين على الرسول الكريم لذا راح ينال من القرآن الكريم ويحاول أن يصيب النبى وأصحابه، ببعض الكلمات الجارحة فلقد اعماه الغرور والكبرياء عن طريق الهدى وأنى لرجل أحب الكفر أن يصبح مسلما عابداً لله ومطيعاً للرسول أنه العمى وغلظة القلب وسوء الأخلاق.

صاحب القلبين

بينما كان الرسول ﷺ يجاهد بنفسه فى الله ليخرج الناس من الظلمات. ظلمات الجهل والشرك إلى نور الله كان «أبو معمر» يحارب النور ويحاول جاهداً أن يجعل الناس فى كهف الظلام فلقد أنتشرت بعض عبارات وكلمات هذا الرجل بين بعض الناس، البسطاء الخاوين من العلم والمعرفة لذا دخلت هذه الكلمات إلى نفوسهم كالطبل سريعة وتأثروا بها وازدادو فى الجهل والغرور والثقة بهذا الرجل الذى اصبح المسيطر عليهم وعلى عقولهم فهو

الإنسان الواعى اللبيب الذى يفوق جميع الناس فى العلم والمعرفة لذى أطلق الناس عليه «ذو القلبين».

الإمتحان

انتصر الحق على الباطل فى موقعة بدر وبدت الصورة واضحة لجميع الناس فى مكة والمدينة فلقد سقط أكبر رجل فى قريش «أبو جهل» العدو الأول للإسلام والحاقد على حب الله ونور الإيمان وسقط بعده الكثير من الكفار وتعفرت دمائهم بالتراب بفضل الله الذى ايد رسوله والمؤمنين بجنود من عنده من الملائكة وحلت الهزيمة بالكافرين فالبعض يفر من المعركة والآخر يسقط ميتا فى أرض المعركة والجزء الثالث يقع فى سلاسل الأسر فمن ذا الذى يستطيع أن يقف أمام الله الخالق البارئ المصور القادر الذى خلق كل شئ ولكن اكثر الناس لايعلمون الحق هكذا كانت حالة قريش وقت بدر.

كذب الجاهلية

هرب «أبو معمر» مع الهاربين طالبا النجاة ورغم المسافة الكبيرة بين أرض المعركة ومكة فلقد وصل أبو معمر فى سرعة البرق وهو فى حالة ذهول مثل السكارى يميل يمينا وشمالاً وحكى للناس ما رآه فى بدر فسقط جميع الناس على الأرض ولطموا الخدود حتى أن بعض الناس سخروا منه وهو لايبالى بل ذهب بعيداً عنهم بعدما نصر الله رسوله والمؤمنين وانهزمت قريشا ومعهم ذى القلبين.

القصة كما رواها القرآن

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ① وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ② وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ③ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾

(سورة الأحزاب الآيات: ١ ـ ٤)

أصحاب القرية

دائماً يعطى الله سبحانه وتعالى الموعظة والمثل للناس وذلك بذكر بعض أخبار الأولين من الناس وكيف أنهم حادوا عن طريق الحق فآتاهم الله بالعذاب المهين فى الدنيا وفى الآخرة هم الخاسرون.

فى هذه الآيات يحذر الله «قريش» من المضى فى نفس الطريق الذى سلكه بعض الناس فى القدم وحق عليهم كلمة الله وعذابه لانهم عتوا عن أمر الله وراحوا يهزأون بالرسل لذا أخذتهم الصيحه فاذا هم موتا وخامدون

الملك الكافر

كان فى إحدى البلاد ملك ظالم ومتغطرس يعبد الأصنام ويأمر الناس بهذه العبادة الكافرة ولقد استجاب معظم الناس لأمر الملك الجبار وأنحرفوا عن عبادة الله الواحد الاحد وذلك مخافة بطش هذا الحاكم القاسى القلب وكان «حبيب النجار» الذى اختلف بعض المفسرين حول أسمه ومكانه.

المهم أن «حبيب» هذا كان يعبد الله حق العبادة فقد هداه الله إلى سبيل الرشاد وزرع الإيمان فى قلبه لذا لم يمش مع الناس ولم يبتعد عن عبادة الله بل انه قرر مواجهة الملك الكافر وشعبه وذلك بالنصح والترهيب من عذاب الله ولكن الناس سخروا منه ووصفوه بالجنون والخبل وقلة العقل.

حبيب العبد الصالح

بدأت المعركة بين حبيب الداعى إلى عبادة الله وبين الملك

وشعبه، الذين يعبدون الأصنام الذين واصلوا سبه وضربه وعدم التعامل معه وزادت الكارثة حينما اتى رجال الملك الكافر إلى حبيب وأجبروه على الجلوس فى بيته وعدم مزاولة عمله فى البيع والشراء لانه يفسد الناس.

أصبح حبيب النجار محاصرا بين الشرطة والحرس وبين الشعب الكافر لذا قرر العزلة والخروج من هذه القرية الظالمة وترك بيته وراح يبحث عن مأوى بعيد عن الكفر والضلال وقد هداه الله إلى جبل صغير بالقرب من قرية بها من الأشجار والثمرات الكثيره فنسى ماصنعه الناس به وراح يصلى ويتعبد الله الواحد الفرد ففى الصباح يذهب إلى الصحراء ويحاول صيد الطيور والحيوانات لكى يأكل من لحمها وحينما يأتى الليل يتعبد ويذكر الله الذى أنعم عليه بنعمة الإيمان وأعطاه القوة والصمود أمام جحافل جيش الملك والشعب الكافر الذى رفض الإيمان وقبل السخرة والأمن الكاذب من أجل إرضاء الملك وحاشيته.

الرسولين

بينما كان «حبيب النجار» فى مناجاة لله فى كهفه كانا رجلان ممن اصطفاهما الله ذهبا إلى مدينة «حبيب» فاذا بهما يريا الناس وهم عاكفون على عبادة التماثيل وماضون فى طريق الفساد وسوء الخلق وذلك بأمر من الملك.

وعلى الفور ذهبا الرجلان إلى الأسواق والبيوت والحانات من أجل نشر الحق والصواب بين الناس الذين اضلهم حاكمهم الفاسق.

وتذكر الناس دعوة حبيب النجار لهم وذلك على لسان

وكلمات هذين الرجلين حتى وصل الأمر إلى الملك الجبار الذى أمر باحضارهما وسألهما فقالا الرجلان فى صوت واحد: أننا رسولان من عند الله وقد جئنا إليكم لكى تعودوا إلى الله وتتركوا عبادة الأوثان؟

واشتد غيظ وحنق الناس منهما فبالامس كان حبيب النجار يقول مثلما يقولان واليوم يجددان دعوته أن هذا لهو عجب العجاب؟

عدم تصديق الناس لهما

كثر الحديث حول هذين الرجلين وبدأت الناس تتشائم منهما لذا وصفا بالكذب وبالبهتان ولكن الرسولين لايخافا إلا الله وبدأت المعركة من جديد بينهما وبين الملك والشعب الكافر الذى يعيش تحت وطأة وسوسة، اللعين إبليس وزاد الجدال بينهما وزاد الرسولين من الصبر على الناس حينما قالا لهم أن الله الذى يعلم بصدق رسالتهما وليس بمقدور أحد أن يساوى الله فى العلم فصمت الناس من حولهما وذهبوا إلى منازلهم والغيظ يملأ قلوبهم فالسواد الأعظم منهم يرفض فكرة الرجوع إلى الله رغم أنهم يعرفون الله ولكنهم يقولون أن: عبادة الأوثان تقربهم إلى الله وهذا هو الكفر بعينه لأنه لا وساطه بين أحد وبين الله فالعباده لله وحده والسؤال لله وحده والعفو من الله العلى القدير ولا وساطه بين الله وعباده.

عوده حبيب إلى القرية

ارسل الملك الجبار أوامره إلى جنوده بابعاد هذين الرجلين عن الناس لأنهما غير صالحين وسوف يفسدان الناس بهذه الدعوة وانتشر خبر الرسولين وعرف حبيب النجار فذهب يسعى إلى

١ ول للناس: أيها الجاهلون الغافلون اسمعوا لكلمات
بما رسـ لان من عند الله ولايجب أن تتشائمون منهما لان
الحق والهداية والخير كله لكم وللناس، أجمعين؟ فعودوا
الحق ولا تشتروا أيها الناس الدنيا وتتركوا الآخره

الصامد الشهيد

عرف حبيب الله وعرف ان الله شديد العقاب وهو
الرحيم لذا خاف على أهل مدينته من العذاب المهين المحقق؟
معظم أرهاط الجهل قالوا له: أنك لاتزال فى وهمك وضلالك
تحمل حبيب هذه السخرية وراح يعظهم حتى لايقع عذاب
الله عليهم ولكن الناس قد التفوا حوله، وحاصروه بعدما وسوس
لهم اللعين إبليس بأن يتخلصوا منه لانه يعبد الله وهم يعبدون
الشياطين والتماثيل وراح معظم الحاضرين يضربونه ويسدّون له
اقوى الضربات وهو يقول لهم: عليكم بعبادة الله فإنه النافع الضار
اتركوا الحجارة وعودوا إلى الله وهم يقطعون ملابسه ويدوسونه
بأقدامهم حتى فاضت روحه الطاهرة وهو يدعوهم إلى الرجوع إلى
عبادة الله الواحد الاحد.

حبيب يدخل الجنة

فاضت روح حبيب إلى مقرها إلى الملأ الأعلى ولقد بنى له
الله قصوراً فى الجنة بما قدمه من تضحية من أجل نصرة الحق
فلقد وفىّ وصدق لذا كان جزاؤه الجنة ورضوان الله عز وجل الذى
يعطى من يسأله ويكافىء الذى يدافع عن الحق والخير وكان حبيب

من هؤلاء الذين يحبون الله والنور وماهى إلا ثوان حتى أحست روح حبيب بنعيم الجنة فتمنى أن تكون الناس شاهدة وعالمة بما تمتع به من رخاء ورضى من الله العلى فلقد غفر الله له وجعله من المكرمين المتمتعين برعاية ورحمة الله.

الصيحة

جن جنون الناس بعدما قتلوا حبيب النجار وراحوا يفكرون فى قتل الرسولين حتى تنتهى كلمة الحق من بلادهم فهم يحبون العمى على الإيمان وفى ثوان ذهب معظم الناس إلى مكان الرسولين ولكن إرادة الله الحق منعت أيدى الكفره أن تمتد إلى أجساد هذين الطاهرين فقد أمر الله جبريل عليه السلام أن يعاقب هؤلاء الناس لما فعلوه بحبيب من تعذيب وظلم وقتل وايضا لاستمرارهم فى طريق الكفر ونزل سيدنا جبريل عليه السلام واطلق فيهم صاعقة مثل الإعصار المدمر القوى فاذا بالبيوت والأشجار تحترق وتسقط هاوية على الأرض فى لحظات قليلة بل أقل من اللحظات.

بهذه النتيجة كانت نهاية أهل هذه القرية الذين لم يفكروا ولو ثانيه فى ماقاله الرسل بل تركوا الشيطان يفكر لهم ويعظهم ومايعظهم، الشيطان إلا غرورا وهاهم الآن فى النار حتى يأتى يوم الحساب.

قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾

(سورة يس الآيات: ١٣ ـ ٣٠)

عزيز بن جروة العبد الصالح

لم تترك اليهود اى فعل من الأفعال السيئة إلا فعلته فهم قتلة الأنبياء وهم محرفو الديانات والعقائد وذلك لانهم يحبون الدنيا فقط ولا ينظرون إلى الحساب وإلى الجنة التى تنتظر العابدين الموحدين المخلصين لدين الله هكذا كانت احوال اليهود مع الرسل والأنبياء وحتى مع الحكام.

أنه الغرور الأعمى ووسوسة الشيطان الرجيم فهو يملى عليهم مايشاء من الذنوب والكفر والعصيان لهذا حاول اليهود أن يجعلوا لهم ميراثا من الحكايات والشخصيات غير البعيدة حتى عن ملتهم.

ورغم أن الله قد أعطى لهم الكثير من الرعاية ووهب لهم التوراة إلا أنهم يحبون الضلال على الهدى ويحرفون كلام الله.

حافظ التوراة

لقد كان عزيز يهوديا صادقا وحافظا للتوراة وسائرا على درب سيدنا موسى فى العبادة وكان له عقل ذكى ويتمتع بحكمة وقول سديد وبليغ لذا كان هو الدليل والمرجع لجميع الناس فالكل يعتمد على رأيه ويثق به حتى كبار بنى إسرائيل كانوا يحترمونه اكبر احترام.

لقد وهب الله عزيزا حقلا كبيرا به من الفواكه والثمار مالذ وطاب فهو كان دائماً يرعى الأرض ويقوم بالعمل بها بنفسه لانه يعرف قيمة العمل.

ورغم علمه الغزير لم يكن مغرورا بل كان متواضعا لله ولجميع الناس فلم، يعامل الفلاحين باستكبار بل كان واحدا منهم كانه مثلهم وهذه هى صفات العبد الصالح والرجل الصادق الذى يعرف حدود الله ويعرف قيمة الصدق وقيمة أن يكون الإنسان بسيطا مع جميع الخلائق.

السؤال العجيب

فى يوم من الأيام خرج عزيز ومعه طعام يومه وراح يركب حماره وذلك من أجل الوصول إلى حقله وأثناء سيره اذا به يرى بعض المنازل المهدمة وذلك بفعل الزمن وراح عزيز ينظر فاذا به يرى بعض القبور وبها عظام سكان هذه القرية وهى متناثرة فوق الرمال. وبدات علامات وبواعث الحق سبحانه وتعالى تظهر فى عقل وقلب عزيز الذى قال وهو فى نشوة من حب وتعجب من قدرة الله القادر الواحد لذا قال لنفسه: كيف يحيى الله هذه القرية بعد موتها ولقد كان سؤال عزيز سئوالا عابرا ولايعنى عدم الثقة بقدرة الله بل كان يعبر عن عقله كإنسان محدود العقل والروح لايرى الأشياء إلا من خلال تصوراته البسيطة المحدودة.

بعد مائة عام

بعد هذا اليوم قرر عزيز العودة إلى بستانه ومنزله ولكنه قد أحس بالتعب خلال هذا اليوم الغريب الملامح والاحداث وبعد فترة تمكن النوم من عين وجسد عزيز لذا ذهب سريعا وعاد راكبا حماره إلى منزله.

وأثناء نوم عزيز بعث الله سيدنا «عزرائيل» عليه السلام لكى يميته مائة عام وهو فى مكانه وعلى نفس ملامحه وصورته ثم بعد ذلك يحيه وذلك لكى يكون للناس آية عظيمة تزيد إيمانهم بالبعث والحساب وبمدى قدرة الله على احياء الموتى.

وتغيرت اجيال من بنى إسرائيل خلال المائه عام وتبدلت احوال الناس فى هذه الفترة فالبعض اشتد إيمانه بالله والبعض بعد عن طريق الحق والنور ولم تعد المدينة كما كانت بل تغير كل شئ فيها.

بداية المواجهه

مرت المائه عام وأرسل الله ملكا إلى عزيز وراح هذا الملك يحرك قلبه ثم يحرك عينيه بعدها بدأ الملك يكسوا العظام لحما وجلدا وكأنه يولد من جديد ثم كسى الملك رأس عزيز بالشعر وبعد أن أتم الملك ما أمر به الله نفخ الملك فيه الروح وبدأت علامات الحياة تدب فى جسم وعقل عزيز الذى جلس قليلا ينظر يمينا وشمالا وكأنه قد نام يوما وراح يفرك عينيه ويصدر بعض الأصوات التى تدل على الكسل وبداية الصحوة من النوم.

وفجأة قال له الملك: كم نمت ياعزيز؟

فقال عزيز: لعلى نمت يوما أو يومين؟

فقال الملك له: كلا لقد نمت مائة عام

فقام عزيز وهو مندهش ولم يجب أو يرد على الملك.

ظهور الحق

بدأ الملك يحدث عزيزا عن قدرة الله ثم قال الملك له: انظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه» اى يتغير طعمه أو لونه وكان كلام الملك لكى يجعل عزيز فى مكان التصديق وعدم الاستغراب وراح عزيز ينظر حوله فاذا به يرى حماره وقد تحول إلى عظام نخرة مع انه لم يحدث له شئ ليبين له قدره الله تعالى فهذا الحمار عظام نخرة وهذا الطعام مازال على حالته وتلك قدرة الله القادر لحظتها أحس عزيز بالخشوع والخوف والإيمان فقال للملك: إنها إرادة الله الحق أيها الملك؟

فقال الملك له: لقد جعلك الله آية للناس لكى يؤمنون بالعلى العظيم إيماناً حقاً.

المعجزه

وفجاة قام عزيز وهو فى حالة تعجب وخوف وخرج إلى الأسواق يرى الناس وهى غريبة فالجميع يرتدى ملابس غير الملابس التى كانوا يلبسونها قبل المائة عام المنقضيه حتى أن المنازل قد تغير لونها وبناؤها؟

وأثناء هذا تذكر عزيز الخادمة التى كانت أمة لأهله فاذا بها عجوز ولا تبصر فدخل عليها وقال لها: أيتها العجوز هل هذا البيت ملك لعزيز؟

فقالت العجوز له: نعم ياولدى؟

فقال عزيز لها: أننى عزيزا فهل تتذكرينى؟ فلقد أماتنى الله

مائة سنة ثم أحياني ويعثني؟ فخافت العجوز وقالت له: أيها الرجل ارحل وكفى هزوا فقال عزيز: اننى اقول الحقيقة والله يعلم ما أقوله.

فقالت العجوز له: أن عزيز كان قريبا من الله وكان مستجاب الدعوة فادعو الله أن يرد لي بصرى حتى أتعرف عليك؟

فدعى عزيز وعاد بصرها وعرفته وقالت له فى حيرة ودهشة تعالى لكى تتعرف على احفادك وابناءك وجمعت العجوز جميع أسرته ولكنهم لم يصدقوا.

البحث عن بقايا التوراة

انفض الناس من حول عزيز والعجوز وهم غير مصدقين لهما وبعد فترة قال ابنه: أن والدى كانت له شامة فكشف عزيز جسمه وظهرت الشامة فصاح جميع الحاضرين من بنى إسرائيل ثم قال واحد منهم: لقد حكى لنا آباؤنا أن عزيزا كان يحفظ التوراة عن ظهر قلب وكان يفهم معانى التوراة وذلك بعد أن أنتصر القائد الفارسى «بختنصر» على قومنا ثم حرق التوراة ولم يتبق منها إلا القليل؟

وقال رجل آخر من بنى إسرائيل لعزيز: أيها الرجل إن كنت عزيزا حقاً فاتلوها علينا ثم أكتبها.

وبدأ عزيز يتلوا بعض آيات التوراة ثم قال لهم: أن التوراة موجودة ومدفونة بجانب قبر أبى؟ وذهب الناس معه واستخرج التوراة التى كانت فى حالة من التعفن فراح عزيز يكتبها كاملة وواضحة.

ولكن بعض المغالين من اليهود لم يصدق هذه الآية بل قال معظمهم أن عزيزا هو ابن الله وهذا كفر وبهتان عظيم وهذا ليس جديدا عليهم فهم أهل المعصية والنفاق.

القصة كما رواها القرآن

قال تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(سورة البقرة الآية: ٢٥٩)

أصحاب الأخدود

فى حب الله

لقد اجتمع هؤلاء الشباب على طاعة الله وحبه وعلى نور الإيمان الذى غمر قلوبهم وعقولهم معاً فالأول من بلاد الروم والثانى عربى ولقد جمعهم الحب الالهى أيام كانت العقيدة المسيحية فى عنفوانها اذ قررا أن يطوفا فى البلاد يدعوان الناس إلى عبادة الله الواحد القهار لكى يبلغا سبيل الهدى والرشاد، فبعد أن انتهت كارثة محاكمة المسيح وذلك من قبل اليهود الذين تفننو فى خلق الفتن والاكاذيب لذا نجا الله نبيه ورفعه قبل أن تمسه ايدى اليهود. لهذا تحمل هذان الرجلان مسئولية نشر الدعوة بدعوة الناس إلى البعد عن ماحرمه الله من قتل وظلم وافتراء.

قطاع الطرق

وبدأت المعركة بين الحق والباطل وقرر هذان الرجلان تحدى جميع المصاعب وجمعا بعض الطعام والملابس وسافرا فى حب الله ولكنهما اثناء السفر فقدا حريتهما حيث وقعا فى الأسر فى ايدى بعض اللصوص وقطاع الطرق الذين قاموا بأخذ جميع أموالهما ومتاعهما ثم قاموا ببيعهما فى سوق الرق واصبحا هذان الرجلان لايملكان الا الكلام والحكمة فلقد فقدا القدرة على الدفاع عن نفسيهما بسبب الأسر ورغم بلاغة لسانهما وصدق دعوتهما الا أن هذه الطريقة لم تكن كافية فى هذا الأمر الذى يتطلب القوة مع الحق.

فى أرض بخران

وبعد رحلة عناء كبيرة وانتقال من بلد إلى آخر انتهى الطريق بهما إلى أرض بخران التى تقع عند حدود اليمن وهى عبارة عن جبال قريبة من جبال الحجاز ولقد كانت هذه المنطقة القلعة الرئيسية لليهود وذلك بعدما قام القائد الفارسى بُختنصر بقتل اليهود وأسر معظمهم لذا هرب معظم اليهود من بيت المقدس ومن البلاد المجاورة لهذه المنطقة الجبليه خوفا من بطش هذا القائد والجزء الآخر منهم ذهب ناحية الشام والجزء الآخر هرب إلى شبه الجزيزة العربية طالبا الحماية والامان واستطاعوا أن يؤسسوا لهم ملكا وسلطانا فى بلاد اليمن بعيداً عن بطش بختنصر.

دعوة الناس إلى المسيحية

بدأ هذان الرجلان يدعوان سيدهما فى نجران إلى الإيمان بالله وتوحيده وعبادته وساعدهما على ذلك صدق إيمانهما وبعض الكرامات التى ظهرت منهما واستطاعا أن يحتلا فى قلبه مكانة عالية لهذا قرر سيدهما تحريرهما من أسر العبودية بل وآمن بدعوتهما فراحا يطوفان البلاد للدعوة إلى الله مبشرين الناس بالوعد الحق والجنة التى تنتظر الصالحين من العباد.

ملك اليمن الظالم

كان فى بلاد اليمن ملكا يدعى ذو نواس وكان على دين اليهودية متعصبا لها وعنده من الجنود والعتاد الكثير فلما علم بدخول أهل نجران إلى المسيحية وتحولهم عن اليهودية ثار وقرر

الإنتقام منهم جميعاً أو يعودوا إلى اتباع اليهودية وترك الدين الجديد فجهز جيشا ضخما وحاصر نجران لكى يرهب أهلها ويجبرهم على أن يطيعوا أوامره.

الثبات على العقيدة

وكان إيمان أهل نجران أقوى من رهبة جيش ذو نواس الظالم فقرروا الثبات على عقيدتهم والصبر على البلاء فأمهلهم الملك المتغطرس ذو نواس حتى يفتنو ولكن ذلك زادهم إيمانا فاشتد غيظه وقرر أن يحفر لهم أخدوداً كبيراً ثم جمع من الأخشاب الكثير واشعل النيران بها حتى صارت جحيما تتصاعد منه السنة اللهب ثم راح يلقى بهم الواحد تلو الآخر حتى يفتنوا ويرتدوا عن دينهم ولكن حلاوة الإيمان وصدق العقيدة جعلهم يحبون لقاء الله على أن يكفروا به فما كان من الملك الظالم سوى ان حرقهم جميعاً فى الأخدود وقد ظل هذا الظلم شاهداً على وحشية اليهود الذين أعماهم تعصبهم الأعمى لدينهم فلم يتركوا بابا للوحشية وسفك الدماء إلا ودخلوا منه وسوف يحاسبهم الله يوم القيامة ويحاسب ملكهم على مافعل بالمؤمنين فإنه الحكم العدل وهو أرحم الراحمين.

وقد جاء القرآن الكريم ليؤكد على غطرسة اليهود وأكاذيبهم الباطلة.

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ① وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ② وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ③ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ④ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ⑤ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ⑥ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ⑦ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ⑧ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ⑨ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ⑩ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾

(سورة البروج الايات: ١ ـ ١١)

الفهرس